

عقيدة
الإمام
الأزهري
ت ٣٧٠ هـ
صاحب تهذيب اللغة
تأليف
د. علي بن نفيع العلياني
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
دار الوطن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى ا لله عليه وسلم.

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1] ، ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[2] ، ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[3] .

أما بعد " فإن ا لله جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب ا لله

---

(١) آل عمران ١٠٢ .

(٢) النساء ١ .

(٣) الأحزاب ٧٠ ، ٧١ .

الموتى ويبصرون بنور ا لله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب ا لله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " (١).

وهذا الصنف من العلماء ليسوا هم المتخصصين في التفسير وحده أو الفقه وحده أو الحديث وحده أو اللغة العربية وحدها بل يشمل علماء الأمة الإسلامية جميعاً أهل الصدق والاستقامة والسنة ، المجانبين للبدعة ، وكل منهم يناضل عن كتاب ا لله وسنة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في تخصصه ، فالمحدث في فنه والفقيه في فنه والمفسر في فنه اللغوي في فنه والمؤرخ في فنه ، وقد كنت كتبت رسالة الماجستير عن عقيدة الإمام ابن قتيبة الذي يسميه ابن تيميه خطيب أهل السنة والجماعة ، وهو معدود في أهل اللغة والأدب فرأيت كيف أن الرجل استخدم تمكنه من اللغة العربية في دحض مفتريات المفترين على الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ورأيت أن الذهبي في (كتابه العلو للعلي الغفار) وابن القيم في كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية) قد اهتما بإبراز عقيدة عدد من أئمة اللغة في مسألة علو ا لله على خلقه واستوائه على عرشه ، وذلك لسد الباب على أهل التأويل الذين يحتجون باللغة العربية ويحملونها ما لا تحتمل من أجل ترويج بدعهم

---

(١) هذا طرف من خطبة أحمد بن حنبل التي قدم بها لكتابه الرد على الجهمية والزنادقة .

الكلامية ، ورأيت أن ابن القيم أدرك خطر تقرير المجاز في اللغة العربية على العقيدة وكيف أن أهل البدع نفذوا من هذه النافذة فاستخدم تمكنه في اللغة العربية فأبطله من وجوه عديدة تثلج الصدر وتكشف الزيف والحق أبلج والباطل لجلج.

ورأيت أن الدراسات المعاصرة لا تهتم كثيراً بإبراز أهل السنة والجماعة من المتخصصين في فنون العلم المختلفة ولأن أهل البدع يحاولون إيهام الناس بأن العقيدة السلفية إنما هي عقيدة عدد قليل من فقهاء الحنابلة المغمورين ، وحتى الإمام أحمد بن حنبل حاولوا أن يفصلوا بينه وبين أتباعه في العقيدة كما فعل ابن الجوزي في كتاب دفع شبه التشبيه وكما فعل زاهد الكوثري في كثير من تعليقاته على الكتب التي حققها ، ويزعمون أنها بقيت في دائرة الإهمال والنسيان حتى جاء ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فوسعا دائرتها وزعما أنها عقيدة الأمة !! ونظراً لأن هذه فرية عظيمة وبهتان كبير وتزييف للحقائق حيث أن العقيدة السلفية هي عقيدة الأمة الإسلامية من الفقهاء والمحدثين والمفسرين وأهل اللغة والأدب إلا من شذ من أهل البدع الذين تأثروا بأعداء الملة والدين كما أخبر البخاري أنه لقي أكثر من ألف من علماء الأمة كلهم على عقيدة سلفية موحدة فإذا كان هذا عدد الذين لقيهم فقط فكم عدد الذين سبقوه ؟ وكم عدد الذين عاصرهم ولم يرهم ؟ وكم عدد الذين جاءوا من بعدهم إلى زمن ابن تيمية وابن القيم ، وقد كلفت طلابي في الدراسات العليا بقسم العقيدة لإحصاء المؤلفات السلفية

التي ذكرها المصنفون إلى نهاية القرن الخامس الهجري فبلغت ما يقرب من ثلاثمائة كتاب وهذه هي التي ذكرت فكم عدد التي لم تذكر ؟ وكم عدد الذين لم يصنفوا وهم على عقيدة سلفية ! ورغبة مني في تشجيع هذا التوجه رأيت أن أسهم في هذا الميدان بجهد المقل وأن أبرز عقيدة علم من أعلام اللغة العربية يشار إليه بالبنان ويرجع إلى كتبه في اللغة أغلب الباحثين حتى أن صاحب لسان العرب اعتمد عليه اعتمادا كبيرا في كتابه وزكاه تزكية عظيمة ، وذلك لكي يتضح للقاريء أن أغلب علماء الأمة الذين لهم لسان صدق وقبول عند الناس في شتى الفنون قبل ابن تيمية وابن القيم هم على عقيدة سلفية أثرية والحمد لله وإن عقائد الفرق المبتدعة إنما هي الشذوذ والباطل وإن كثر القائلون بها ، والمنافحون عنها ، ومما شجعني على الكتابة عن عقيدة هذا العلم ما رأيته من اتهام بعض الكتاب في زماننا هذا لهذا العلم الجهبذ بالتشيع فأردت أن أسبر غور الحقيقة ، وأظهر للقاريء ما يبرزه البحث وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقاريه ومن أعان على نشره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اله بقلب سليم.

وقد قسمت البحث إلى بابين وخاتمة كما يتضح من فهرس الموضوعات ، وأحب أن أشير هنا إلى مسألة تتعلق بمنهجي في هذا البحث وهي أن الأزهري يورد بالسند أحاديث منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى أحد من الصحابة أو إلى كتاب من كتب العلماء السابقين حتى الأشعار والأخبار يوردها بالسند وليس تتبع صحة هذه الأحاديث

والآثار والأقوال من أهداف هذه الدراسة فإن هذا أمر يطول جدا ولكن الحديث الذي يذكره والأثر الذي يسنده والقول الذي يأتي به أعتبر أن مضمونه ومعناه هو ما يعتقده لأنه أورده محتجاً به ، وقد يكون دليله بالسند الذي رواه به غير صحيح ولكن المعنى صح من طرق أخرى أو في آيات كريمات وهذا الذي يهمني هنا ولذا فإنني أقارن بين منهجه في الاعتقاد ومنهج أهل السنة والجماعة وبين ما يعتقده تفصيلاً وما يعتقده أهل السنة فالعبرة عندي بصحة ما يعتقد وما يقرر لا سيما وكتابه الذي عليه الاعتماد في استنباط عقيدته إنما هو كتاب لغة فهو لا يورد الأدلة في المسألة ويحتج لها من كل وجه وإنما يذكرها عرضا عند ذكره لمعنى المادة اللغوية التي يريد تفسيرها ولكنه يتميز عن غيره من علماء اللغة بكثرة الترجيحات والإفصاح عن عقيدته والاعتماد على تفسير القرآن والسنة النبوية وأقاويل السلف الصالح مما أثرى هذا البحث وأعانني على تمييز عقيدته بوضوح وأخيراً فإنني أطلب من كل باحث ألا يبخل علي بملحوظاته ونصحه فإن الدين النصيحة والعلم رحم بين أهله وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك وصل ا لله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه في بلد الله الحرام

د. علي بن نفيع العلياني

قسم العقيدة . جامعة أم القرى

الباب الأول . عصره وحياته

الفصل الأول : عصره

المبحث الأول : الجانب السياسي

المبحث الثاني : الجانب العلمـــي

الفصل الثاني : حياتــــــــه

المبحث الأول : اسمه ومولده ونشأته ووفاته

المبحث الثاني : شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث : علمه ومؤلفاته

الفصل الأول : عصره

المبحث الأول : الجانب السياسي

المبحث الأول : الجانب السياسي

إن الحديث عن أهم الجوانب في عصر أي عالم من العلماء يكشف للقاريء شخصية ذلك العالم ويبين مدى فقهه وحسن اختياره للمنهج الذي يسلكه تجاه الواقع الذي يعيش فيه وقد عاش الأزهري ما بين عام ٢٨٢هـ ، تاريخ ولادته ، وعام ٣٧٠هـ تاريخ وفاته ، وهذه الفترة من الزمن كان يحكم فيها الخلفاء العباسيون في الشرق الإسلامي فقد تولى الخلافة المعتضد بالله عام ٢٧٩هـ وفي خلافته ولد الأزهري ثم المكتفي بالله عام ٢٨٩ ثم المقتدر بالله عام ٢٩٥ وفي أيامه خرجت المغرب عن دولة الخلافة [١] ، ثم القاهر بالله عام ٣٢٠ وهو أول من سملت[٢] عيناه من الخلفاء عام ٣٢٢هـ ثم الراضي بالله عام ٣٢٢هـ وفي عهده ازداد ضعف الخلافة ازديادا كبيراً ، يقول ابن كثير في حوادث عام ٣٢٤ : " وفيها ضعف أمر الخلافة جداً وبعث الراضي إلى محمد بن رائق - وكان بواسط - يدعوه إليه ليوليه إمرة الأمراء ببغداد وأمر الخراج والمغل في جميع البلاد والدواوين وأمر أن يخطب له على جميع المنابر وأنفذ إليه بالخلع ، فقدم ابن رائق إلى بغداد على ذلك كله ومعه الأمير بجكم التركي غلام مرداويج وهو الذي ساعد على قتل

---

(١) انظر تاريخ القضاعي ٤٩٨ .

(٢) أي فقئت بحديدة محماة في النار .

مرداويج واستحوذ ابن رائق على أموال العراق بكماله ونقل أموال بيت المال إلى داره ولم يبق للوزير تصرف في شيء بالكلية ووهى أمر الخلافة جداً واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء ولا تفرد بشيء ولا كلمة تطاع وإنما يحمل إليه ابن رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها ، وهكذا صار أمر من جاء بعده من أمراء الأكابر كانوا لا يرفعون رأساً بالخليفة وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق هذا يولي فيها من شاء وخوزستان إلى أبي عبد الله البريدي وقد غلب ابن ياقوت على ما كان بيده في هذه السنة من مملكه تستر وغيرها واستحوذ على حواصلها وأموالها ، وأمر فارس إلى عماد الدولة بن بويه ينازعه في ذلك وشمكير أخو مرداويج ، وكرمان بيد أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع ، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة بني حمدان ومصر والشام في يد محمد طغج ، وبلاد إفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، وقد تلقب بأمير المؤمنين . والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي ، وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة وهجر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي "[١] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٨٤ .

ثم جاء بعد الراضي با لله المتقي لله عام ٣٢٩ ، ثم المستكفي با لله عام ٣٣٣هـ ، ثم المطيع لله عام ٣٣٤ ، وفي أيامه خرجت مصر والشام والحجاز عن دولة بني العباس [1] ، ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم والمدبر للأمور والحاكم على الجمهور معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي [2] والبويهيون من المعروفين بالرفض والفساد [3] وكذلك الحمدانيون ، يقول ابن كثير مبينا أسباب تسلط النصارى على البويهيين بسبب رفضهم ولعنهم للصحابة ومحاربة أهل السنة : " وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض لا جرم أن ا لله لا ينصر أمثال هؤلاء بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم وتركهم أنبياءهم وعلماءهم ، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام وكان فيهم الرفض وغيره استحوذ الفرنج على سواحل الشام وبلاد الشام كلها حتى بيت المقدس ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماه ودمشق وبعض أعمالها وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج والنواقيس النصرانية والطقوس الإنجيلية تضرب في شواهق الحصون والقلاع وتكفر في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع والناس معهم في حصر عظيم وضيق من الدين وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف

---

(١) تاريخ القضاعي ٥٤٠ .

(٢) أخبار الدول المنقطعة ٢٤٦ .

(٣) انظر البداية والنهاية ١١/٢٦٢ .

شديد في ليلهم ونهارهم من الفزع فإن لله وإنا إليه راجعون ، وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء[١].

ثم جاء بعد المطيع لله الطائع لله عام ٣٦٣هـ واستمرت خلافته إلى عام ٣٧١ عندما تولى القادر بالله[٢] هؤلاء هم خلفاء بني العباس الذين عاش الأزهري أيام خلافتهم والبلد الذي ولد الأزهري فيه ومات فيه هو بلد هراة [٣] وكان قد دخله المسلمون فاتحين عام ٤١ هـ وكان يخضع في عصر الأزهري لإمارة السامانيين الذين استمر حكمهم على بلاد ما وراء النهر من عام ٢٦١ إلى عام ٣٨٩ والسامانيون أسرة عريقة يقول عنهم السمعاني : " الساماني بفتح السين المهملة هذه النسبة إلى جماعة من ملوك سامان المشهور منهم الأمير الماضي العالم العادل الناصح للرعية أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان بن حيا بن نيار مولى أمير المؤمنين ، ومن نسب إليه وإلى أقربائه وأولاده وأتباعه يقال لهم السامانية"، كتب الحديث وقصصه في الغزو والعدل وحرمة أهل العلم وتقويتهم مشهورة معروفة ومات إسماعيل ببخارى في صفر سنة خمس وتسعين

---

(١) بداية ٢٤١/١١ .

(٢) المصدر السابق ٣٠٨/١١ .

(٣) هراة بالفتح مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة إلا أن التتار خربوها ، انظر مراصد الاطلاع ١٤٥٥/٣ .

ومائتين ، ووالده الأمير أحمد بـن أسـد بـن سـامان بـن حيـا بـن نيـار بـن نوشرك بن طهمان بن بهرام جوبين الساماني يروي عـن سفيان بـن عيينـة وإسماعيل بن علية ويزيد بـن هـارون ومنصـور بـن عمـار ، روى عنـه ابنـه الأمير إسماعيل ومات بفرغانة سنة خمسين ومائتين وابنه أبو يعقوب إسحاق بن أحمد الساماني كان على مظالم بخارى ، حدث عن أبيه " [١].

وهذا يدل على أن أوائل الأمراء السامانيين مـن أهـل العلـم والفضـل ومـن رواة الأحاديث ، وقد تتابعت الإمارة في هذه الأسرة فبعد إسماعيل بن أحمد ابنه أبو نصر أحمد بن إسماعيل الـذي قتـل عـام ٣٠١ هـ وبعـده ابنـه نصـر ٣٣١ وبعده ابنه نوح ت٣٤٣ وبعده ابنه عبد الملك ت٣٥٠ وبعـده أخـوه منصور بن نوح عام ٣٦٥ وبعده ابنه نوح بن منصور ت عام ٣٨٧ هـ[٢]، وكـانت العلاقـة بـين السـامنيين وبـين الخلافـة العباسـية حسـنة فقـد كـان السامانيون يدعون لخلفـاء بـني العبـاس معهـم في خطبـة الجمعـة ويضربـون أسماءهم على الدنانير وكانوا يأخذون من الخلفاء العباسيين عهـوداً بالولايـة على تلك المناطق لكي تكون ولايتهم شرعية ومما دعـم الصلـة بينهـم وبـين الخلافة أن السامانيين أهل سنة [٣].

---

(١) الأنساب للسمعاني ٧/٢٤ - ٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، وقارن بالبداية والنهاية لابن كثير ١١/٢٣٨ .

(٣) انظر العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف ص٢٥-٢٦ .

ومما تقدم من عرض الجانب السياسي في عصر الأزهري يتضح لنا أن الخلافة العباسية في مجملها قد بلغت مرحلة سيئة من الضعف والانحطاط فقد كان يسيطر على الخلفاء العلوج الأتراك الذين تولوا الوزارات والولايات على الأقاليم والجيوش وكان لا هم لهم في الغالب إلا جمع الأموال والتنافس في البذخ وزينة الحياة الدنيا وما يقومون به من إصلاحات ومن عدل أحيانا فإنما يريدون به كسب الدهماء من الناس ثم خلفهم البويهيون في السيطرة على خلفاء بني العباس والبويهيون ليسوا أحسن حالاً من الوزراء الأتراك بل يزيدون عليهم بأنهم شيعة رافضية نشروا البدعة بالإضافة إلى فسقهم وفجورهم وكانت ثورات القرامطة والعبيديين والانتهازيين تفتك في المجتمع الإسلامي فتكاً ذريعاً و لم يسلم الأزهري من هذه الثورات بل وقع أسيراً في يد القرامطة وبقي في الأسر دهراً طويلاً[1]، ولا أدل على الشر الذي وصلت إليه ثورات القرامطة من هذه الحادثة ، يقول ابن كثير في حوادث عام ٣١٧ : " فيها خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية فانتهب أموالهم واستباح قتالهم فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١/٧ .

وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول : أنا الله وبالله أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون وهم كذلك .... وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه .... ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاءه رجل فضربه بمثقل في يده وقال : أين الطير الأبابيل أين الحجارة من سجيل ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردوه كما سنذكره في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة "[١].

وأما الرافضة فقد استشرى خطرهم في هذا العصر وذلك بسبب هيمنة البويهيين الرافضة على خلفاء بني العباس يقول ابن كثير في حوادث عام ٣٣٨ : " في ربيع الأول منها وقعت فتنة بين الشيعة والسنة ونهبت الكرخ"[٢].

وفي حوادث عام ٣٤٦ يقول : " وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وأهل السنة بسبب السبّ فقتل من الفريقين خلق كثير "[٣].

---

(١) البداية ١١/١٦٠ .

(٢) السابق /٢٢١ .

(٣) السابق ١١/٢٣٢ .

وفي حوادث عام ٣٤٨ يقول : " وفيها كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير " [١].

وفي حوادث عام ٣٥٢ يقول : " في عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين ابن علي بن أبي طالب و لم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم وكون السلطان معهم [٢].

وفي حوادث عام ٣٥٣ ذكر مثل الحادثة المتقدمة [٣].

وهذا غيض من فيض من تسلط الرافضة على السنة في هذا العصر اكتفينا بذكر أمثلة له وأما الروم النصارى فقد استغلوا ضعف الدولة وكان لهم هجمات منكرة على المسلمين منها على سبيل المثال ما ذكره ابن كثير في حوادث عام ٣٢٢ حيث قال :" فيها قصد ملك الروم ملطيه في خمسين ألفاً فحاصرهم ثم أعطاهم الأمان حتى تمكن منهم فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر ما لا يحصون كثرة " [٤].

---

(١) السابق ١١/٢٣٤ .

(٢) السابق ١١/٢٤٣ .

(٣) السابق ١١/٢٥٣ .

(٤) السابق ١١/١٧٧ .

وما ذكره في حوادث عام ٣٥١ حيث قال : " فيها كان دخول الروم إلى حلب صحبة الدمستق ملك الروم لعنه الله في مائتي ألف مقاتل وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بغتة فنهض إليه سيف الدولة بن حمدان بمن حضر عنده من المقاتلة فلم يقو به لكثرة جنوده وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقاً كثيراً " [١].

لقد عاش الأزهري هذا الواقع السياسي التعيس بكل مشكلاته ولهذا لا غرو أن نجده لا يتصل بأولئك الأمراء والوزراء الذين جروا الويلات على المسلمين فلم نره يهدي لأحد منهم مؤلفاته كما يفعله بعض المصنفين ولم يتول لهم ولاية ولا شك أن هذا من ورعه وزهده وهذا منهج رشيد حض عليه كثير من السلف عند فساد السلاطين ، فهذا عبد الله بن المبارك رحمه الله لما بلغه أن إسماعيل بن عُلية ـ أحد أئمة الحديث في عصره ـ قد ولي الصدقات كتب إليه قائلاً :

ياجاعل العلم له بازياً	يصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بعد ما	كنت دواءا للمجانين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك في سردها	في ترك أبواب السلاطين

---

(١) السابق ١١/٢٣٩ .

إن قلت أكرهت فما هكذا زل حمار الشيخ في الطين [١].

ولعل من الروايات التي أشار إليها ابن المبارك في شعره قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلاطين افتتن " [٢].

ومع أن أمراء بلاد ما وراء النهر أفضل بكثير من أمراء سائر الأقاليم لأنهم أهل سنة وفيهم محدثون وعلماء كما تقدم إلا أن الأزهري صان علمه عن الإبتذال والتكسب به وانصرف إلى العلم وتدوينه وتعليمه وترك التكالب على حطام الدنيا وطلب الولايات فصدق فيه قول الشاعر :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

ولو عظموه في النفوس لعظما

فهذا الشار أبو نصر أمير غرشستان [٣] يأتي إلى الأزهري ويسمع منه بعض أجزاء من كتاب تهذيب اللغة ويخطه بيده [٤]، وكان يعجبه رحمه الله هذا المسلك من الصيانة والعفة فهو يثني به على أهله فيقول عند ذكره أحمد بن

---

(١) انظر ص١٧٨ من كتاب عبد الله بن المبارك الإمام القدوة .

(٢) الحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود ٥٥٢/٢ .

(٣) غرشستان بالفتح ثم السكون وشين معجمة وسين مهملة وتاء مثناه من فوق وآخره نون ، ولاية برأسها هراة في غربيها والغور في شرقيها ومرو الروز عن شماليها وغزنة عن جنوبها ويقال لها غرجستان . ناحية واسعة كثيرة القرى وبها نهر هو نهر مرو الروذ انظر مراصد الاطلاع ٩٨٩/٢ .

(٤) مقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ١١/١ .

يحيى " ثعلـب" وكـان عفيفـاً عـن الأطمـاع الدنيـة متورعـاً مـن المكاسـب الخبيثة[١].

(١) تهذيب اللغة ١/٢٧ .

المبحث الثاني
الجانب العلمي

المبحث الثاني

الجانب العلمـــــي

عاش الأزهري في عصر قد دونت قبله أمهات المسائل العلمية وتحددت معالم الفرق والمذاهب ووضعت أصول أكثر العلوم ، فأئمة الفقه كأبي حنيفة ت١٥٠ ، ومالك ت١٧٩ ، والشافعي ت٢٠٤ ، وأحمد بن حنبل ت٢٤١ ، وداود بن علي الظاهري ت٢٧٠هـ ، قد سار بفقههم الركبان وانتشرت مؤلفاتهم وتلاميذهم في البلاد ، وأئمة السنة كالإمام مالك صاحب الموطأ المتوفى ١٧٩ ، وعبد اله بن محمد بن أبي شيبة صاحب المصنف المتوفى عام ٢٣٥ ، وأحمد بن حنبل صاحب المسند المتوفى عام ٢٤١ ، والبخاري ت٢٥٦ ، ومسلم ت٢٦١ ، وابن ماجه ت٢٧٣ ، وأبي داود ت٢٧٥ ، والترمذي ت٢٧٩ ، ومحمد بن نصر المروزي ت٢٩٤ ، والنسائي ت٣٠٣ ، قد عرفت كتبهم وتلقاها عنهم الرواة ، وأئمة اللغة والنحو كأبي عمرو ابن العلا ت١٥٤ ، والخليل بن أحمد ت١٧٥ ، وسيبويه ت١٧٧ ، ويونس بن حبيب ت١٨٢ ، والكسائي ت١٨٩ ، والفراء ت٢٠٧ ، وأبي عبيدة ت٢١٠ ، والأصمعي ت٢١٣، وابن الأعرابي ت٢١٣ ، وأبي زيد الأنصاري ت٢١٤ ، والأخفش الأوسط ت٢٢١ ، والمازني ت٢٤٩ ، والمبرد ت٢٨٥ ، وثعلب ت٢٩١، وابن كيسان ت٢٩٩ ، وابن الأنباري ت٣٢٨ ، والزجاجي ت٣٣٧ ،

قد انتشرت أقوالهم ومؤلفاتهم في اللغة والنحو وكانت الكتب التي تبين مذهب أهل السنة والجماعة في الإعتقاد وترد على أهل البدع قد كتبت ككتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤ ، وكتاب الرد على الجهمية لعبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي ت٢٢٩ ، وكتاب الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة ت عام ٢٣٥، وكتاب الإيمان لأحمد بن حنبل ت٢٤١ ، وكتاب الرد على الزنادقة والجهمية له أيضا ، وكتاب الرد على الجهمية للبخاري ت٢٥٦ ، وكتاب خلق أفعال العباد له أيضا ، وكتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ت٢٧٦ ، وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي ت ٢٨٠ ، وكتاب الرد على بشر المريسي له أيضا ، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ت٢٨٧ ، وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد ت٢٩٠ ، والسنة لمحمد بن نصر المروزي ت٢٩٤ ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة ت٣١١ ، وكتاب السنة للخلال ت٣١١ ، ولم يقتصر انتشار المؤلفات على أهل السنة والجماعة بل إن الفرق المبتدعة قد نشرت مؤلفاتها فقد كان للاعتزال صولة وجولة في زمن ثلاثة من خلفاء بني العباس وهم المأمون والمعتصم والواثق ، حتى خفّ شرهم في زمن الخليفة العباسي المتوكل ت٢٤٧ ، وكذلك التشيع فإنه ازدهر عندما استولى البويهيون الرافضة على تصريف خلفاء بني العباس كما تقدم ، وعندما استولى الفاطميون على الديار المصرية والمغرب نشروا من البدع الكفرية ما يندى له الجبين يقول ابن كثير

عن المسمى المعز الفاطمي : " معز بن إسماعيل بن عبد ا لله أبو تميم المدعي أنه فاطمي صاحب الديار المصرية وهو أول من ملكها من الفاطميين وكان أولاً ملكاً ببلاد إفريقية وما والاها من بلاد المغرب فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعث بين يديه جوهر القائد فأخذ له بلاد مصر من كافور الإخشيدي بعد حروب تقدم ذكرها واستقرت أيدي الفاطميين عليها فبنى بها القاهرة وبنى منزل الملك وهما القصران ثم أقام جوهر الخطبة للمعز الفاطمي في سنة ثنتين وستين وثلثمائة ثم قدم المعز بعد ذلك ومعه جحافل من الجيوش وأمراء المغاربة والأكابر وحين نزل الإسكندرية تلقاه وجوه الناس فخطبهم بها خطبة بليغة ادعى فيها أنه ينصف المظلوم من الظالم وافتخر فيها بنسبه وأن ا لله قد رحم الأمة بهم وهو مع ذلك متلبس بالرفض ظاهرا وباطناً كما قاله القاضي الباقلاني إن مذهبهم الكفر المحض واعتقادهم الرفض وكذلك أهل دولته ومن أطاعه ونصره وولاه قبحهم ا لله وإياه وقد أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقي أبو بكر النابلسي فقال له المعز : بلغني عنك أنك قلت : لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم ؟ فقال : ما قلت هذا ، فظن أنه رجع عن قوله فقال : كيف قلت؟ قال : قلت : ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر ، قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الإلهية وادعيتم ما ليس لكم فأمر بإشهاره في

أول يوم ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضرباً شديداً مبرحاً ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث [١].

والصوفية أيضا قد انتشرت أقوالهم فكان من أئمتهم معروف الكرخي ت٢٠٠هـ ، وأبو سليمان الداراني ت٢١٥ ، وأبو يزيد البسطامي ت٢٦١ هـ ، وأبو سعيد الخراز ت٢٧٩ ، وسهل التستري ت٢٨٣ ، والحسين بن منصور الحلاج ٣٠٩هـ ، والمتكلمون ومنهم الأشاعرة قد انتشر فكرهم ومن أئمتهم أبو الحسن الأشعري الذي نشر مذهبهم قبل رجوعه إلى مذهب السلف ت عام ٣٢٤ ، والكلابية ومن أئمتهم عبد الله بن سعيد بن كلاب ت٢٤٠هـ ، والماتريدية ومن أئمتهم الماتريدي ت٣٣٣هـ ، والمعتزلة قد انتشر فكرهم أيضاً ومن أئمتهم واصل ابن عطاء ت١٨١ ، وعمرو بن عبيد ت٢٤٤ ، وإبراهيم النظام ت٢٣٠ ، وأبو علي الجبائي ت٣٠٣ ، وكذلك الفلاسفة قد انتشر فكرهم ومن أئمتهم أبو يوسف الكندي ت٢٥٦ هـ ، وأبو نصر محمد الفارابي ت٣٣٩ .

إن هذا العصر الذي يموج بمؤلفات أغلب العلوم كما تقدم جعل الحركة العلمية نشيطة جداً فالوضع السياسي المتدهور لم يؤثر عليها كثيراً بل انصرف العلماء وتلاميذهم إلى العلم فراراً من الفتن والمشاركة فيها ونظرا إلى أن أصول العلوم قد دونت توجهت الهمم إلى شرح المختصرات أو

---

(١) البداية والنهاية ٢٨٣/١١ .

إكمال الناقصات أو الرد على بعض المؤلفات أو تفسير الغرائب وقد نحا الأزهري هذا المنحى كما يتضح من أسماء مؤلفاته فإن كتابه تهذيب اللغة إنما دعاه إلى تأليفه أن كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد لم يف بالغرض الذي وضع من أجله وكتاب الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي إنما ألفه لبيان غريب مصطلحات الفقه الشافعي وكذلك تفسير إصلاح المنطق لابن السكيت وتفسير السبع الطوال وهو تفسير للمعلقات السبع وتفسير شعر أبي تمام وتفسير شواهد غريب الحديث لعله شرح لشواهد غريب الحديث لأبي عبيد [١] جل هذه الكتب إنما هي بيان وإكمال لمؤلفات سابقة .

وهذا لا يعني أن عصر الأزهري ليس فيه نبوغاً علمياً فإن شيخ المفسرين ابن جرير الطبري إنما عاش في عصر الأزهري حيث ت عام ٣١٠ ، وابن مجاهد المقريء من أبرز أئمة هذا الشأن إنما عاش في هذا العصر حيث ت عام ٣٢٤ ، وظهر بعض أئمة السنة ومنهم ابن خزيمة ت٣١١ هـ ، وأبو محمد البربهاري ت٣٢٩ ، والإمام الدار قطني ت٣٨٥ ، والآجري ت٣٦٠ ، وفي هذا العصر ظهر بعض أئمة الصوفية كأبي العباس بن عطاء ت٣٠٩ ، والحسين بن منصور الحلاج ت٣٠٩ ، الذي قتل على الزندقة[٢]، وربما يكون كتاب الروح للأزهري وكتاب تفسير الأسماء

---

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة ١/١٤ .

(٢) انظر البداية ١١/١٣٥ وما بعدها .

الحسنى إنما ألفهما لبيان الحق في هذا الجانب والرد على تلاعب الصوفية بادعاء أسرار للأسماء الحسنى وادعاء حضور الأرواح ومخاطبتها كروح الخضر وأرواح أئمتهم ونحو ذلك من خزعبلاتهم فإن الكتابين مفقودان لم يذكر أحد من العلماء أنه اطلع على ما فيهما ، وفي هذا العصر برز بعض أساطين الفلسفة كأبي نصر الفارابي الذي كان ينكر المعاد الجثماني ويقول بالمعاد الروحاني للأرواح العالمة لا الجاهلة وعلى كتبه تفقه ابن سينا وهلك الفارابي عام ٣٣٩ (١) ، والبلد الذي عاش فيه الأزهري اشتهر بعلمائه الفطاحل في كل فن ويكفي للدلالة على سعة انتشار العلم في هراة كثرة الحفاظ الذين ترجم لهم العلماء في طبقاتهم فمنهم الحافظ إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني أبو سعيد الهروي (٢) ، والحافظ سويد بن سعيد بن نصر بن سهل الهروي أبو محمد الحدثاني (٣) ، والحافظ أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهذلي القطعي الهروي (٤)، والحافظ الحسين بن إدريس وسيأتي في شيوخ الأزهري (٥)، والحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الهروي السامي وسيأتي في شيوخ الأزهري(٦)،

---

(١) البداية ١١/٢٢٤ .

(٢) طبقات الحفاظ للسيوطي ٩٦ .

(٣) السابق ٢٠١ .

(٤) السابق ٢٠٨ .

(٥) السابق ٣٠٥ .

(٦) السابق ٣٠٧ .

والحافظ الكبير أبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهروي[١]، والحافظ أبو عبد الله محمد بن المنذر بن شعبة الهروي [٢] ، والحافظ عبد الله بن عروة الحافظ المجود أبو محمد الهروي وسوف يأتي في شيوخ الأزهري [٣] ، والحافظ أبو الفضل محمد بن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عمار الجارودي الهروي الشهيد [٤] ، والحافظ محمد بن يوسف بن بشر الحافظ الثقة الهروي الفقيه الشافعي [٥] ، والحافظ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن ياسين الهروي مؤرخ هراة [٦] ، وهؤلاء العلماء الأثبات الحفاظ كلهم توفوا قبل وفاة الأزهري فبعضهم عاصره الأزهري واستفاد من علمه مباشرةوروى عنه ، وبعضهم استفاد من كتبه أو تلاميذه ولا شك أن بلداً يوجد فيه أمثال هؤلاء الحفاظ لحري أن ينشأ أبناؤه على محبة العلم والعلماء وهكذا كان الأزهري فقد أحب العلم واتجه إليه منذ حداثة سنه كما سيأتي في مؤلفاته.

---

(١) السابق ٣١٢ .

(٢) السابق ر٣١٨ .

(٣) السابق ٣٣٢ .

(٤) السابق ٣٤٨ .

(٥) السابق ٣٤٩ .

(٦) السابق ٣٥٩ .

الفصل الثاني : حياتـــــــــه

المبحث الأول : اسمه ومولده ونشأته ووفاته

المبحث الأول

اسمه ومولده ونشأته ووفاته

هو أبو منصور [١] محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر بن نوح بن حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن بن المرزبان الهروي ، وهذا النسب ساقه هكذا تلميذه أبو سعيد محمد بن علي الذي قرأ عليه كتاب معاني القراءات [٢] وهو أعرف به من غيره ، والأزهري نسبة إلى جده الأزهر ، قال السمعاني : " واشتهر بهذه النسبة جماعة فيهم أبو محمد الحسن بن محمد بن إسحاق بن الأزهر الاسفرائييني الأزهري ابن أخت أبي عوانة الحافظ من أهل اسفراين كان محدث عصره وذكر جماعة من الأزهريين [٣] .

والهروي نسبة إلى بلدة هراة ، وقد ولد الأزهري في هراة عام ٢٨٢ ، وبها نشأ ، وقال الحاكم [٤] : رأيت في كتب تاريخ السنين تصنيف أبي يعقوب إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابن الفرات الهروي الحافظ وأصله عندي

---

(١) هناك رجل يسمى أبو منصور اللغوي كان لا يزال حياً في شهر شعبان سنة ٤٣٧هـ وله ديوان العرب وميدان الأدب في عشرة مجلدات وهو غير أبي منصور هذا ، انظر تاريخ التراث لسزكين ٣٣٤/٨ .

(٢) انظر معاني القراءات ص٩١ .

(٣) انظر الأنساب ١٨٩/١ .

(٤) الحاكم هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهروي صاحب كتاب الوفيات وسوف يأتي ذكره .

بخطه في عشرة أجزاء أن مولد أبي منصور الأزهري في سنة اثنتين ومائتين[١] .

قلت : ولا شك أن كتاب معجم المؤلفين الذي أورد هذا النص فيه سقط كلمة " ثمانين " لشذوذ هذا القول ولإجماع المترجمين لأبي منصور أنه مات عام ٣٧٠ أو ٣٧١ هـ ، ولو كانت الرواية السابقة صحيحة لكان عمره أكثر من مائة وستين سنة والنظر في شيوخه وتلاميذه يبطل هذه الرواية .

ثم رحل الأزهري إلى الحج وبعد الحج صادفت القرامطة الحجاج بالهبير[٢]، فقتلت بعضهم وأسرت بعضهم وكان من الأسرى الأزهري فمكث في الأسر دهراً طويلاً [٣] .

ورحل إلى بغداد وسمع من علمائها كما سيأتي في شيوخه ثم رجع إلى بلدة هراة وعلم فيها العلم ، ولم تذكرالمراجع كم مكث في بغداد غير أنه يبدو أنه لم يمكث فيه طويلا حيث قال الأزهري عن معاصره أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي صاحب كتاب المعاني في القرآن : " حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب فألفيت عنده جماعة يسمعونه

---

(١) معجم المؤلفين ١٦٤/٧ .

(٢) الهبير بالفتح ثم الكسر وهو رمل زرود عنده كانت وقعة ابن أبي سعيد الجنابي بالحاج لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم ، انظر مراصد الاطلاع ١٤٥١/٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٧/١ .

منه وكان متقدما في صناعته بارعا صدوقا حافظا لمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه وكان خدم أبا العباس المبرد دهرا طويلا وما وقع في كتابي له من تفسير القرآن فهو من كتابه ، ولم أتفرغ ببغداد لسماعه منه ووجدت النسخ التي حملت إلى خراسان غير صحيحة فجمعت منها عدة نسخ مختلفة المخارج وصرفت عنايتي إلى معارضة بعضها ببعض حتى حصلت منها نسخة جيدة "[١] .

فهو يصريح أنه لم يتفرغ ببغداد لسماع هذا الكتاب مع أهميته ولعله ورد بغداد في طريقه للحج حيث أن الزجاج ت عام ٣١١ والأزهري أسرته القرامطة عام ٣١١ في رجوعه من الحج كما تقدم ، ويحتمل أنه مرّ على العراق ثانية عند خروجه من الأسر .

ولم تذكر المراجع رحلات له إلى غير الحج والعراق [٢] ، ويجمع من ترجموا له بأنه توفي ببلدة هراة وأكثرهم على أنه مات عام ٣٧٠ وقيل عام ٣٧١[٣] .

---

(١) تهذيب اللغة ٢٧/١ .

(٢) انظر ترجمته في نزهة الألباء للأنباري ٣٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣١٦/١٦ ، وتاريخ الإسلام ص٤٤٣ ـ ٤٤٥ كلاهما للذهبي ، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٣/٣ ، وبغية الوعاة للسيوطي ١٩/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٧٢/٣ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٢٣/١ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٤٥/٢ ، وعن هذه المراجع نقل كثير من المعاصرين الذين حققوا كتبه أو تناولوه بالدراسة كعبد السلام محمد هارون في مقدمة تهذيب اللغة . والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في دراسته عن مقدمة تهذيب اللغة للأزهري التي طبعت عام ١٣٧٦ هـ ، و د. محمد جبر محقق =

يقول ياقوت : " مات فيما ذكره أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في تاريخ هراة في سنة سبعين وثلاثمائة ووافقه الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهروي في كتاب الوفيات له وزاد في ربيع الآخر "[1].

= كتاب الزاهر ، و د. جمعان السلمي في رسالته للدكتوراه بعنوان " مآخذ الأزهري اللغوية على كتاب العين " ومحققي معاني القراءات د. عيد مصطفى درويش ، و د. عوض بن حمد القوزي .

(٣) انظر مراجع ترجمته السابقة .

(١) معجم المؤلفين ١٦٤/١٧ .

المبحث الثاني
شيوخه وتلاميذه

أولاً : شيوخه

تلقى الأزهري العلم عن عدد من العلماء في بلده هراة وفي العراق عندما سافر إليها ومنهم :

١. أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج الذي انتهت إليه الرياسة في النحو بعد المبرد وصنف مصنفات حسنة ككتاب الأصول وقال عنه الأنباري بأنه ثقة وأنه قد توفي يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة عشرة وثلثمائة في خلافة المقتدر با لله [١].

وقد ذكر الذهبي بأن الأزهري أخذ عنه في بغداد [٢].

٢. محمد بن أبي جعفر الأستاذ أبو الفضل المنذري الهروي الذي أخذ العربية عن ثعلب والمبرد وصاحب المؤلفات المفيدة كنظم العقيان والملتقط والفاخر والشامل ، وقد أكثر الأزهري النقل عنه ووصفه بالعدالة حيث قال : [وحدثني أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري العدل] [٣].

مات المنذري سنة تسع وعشرين وثلاثمائة [٤].

---

(١) انظر نزهة الألباء ٢٤٩ .

(٢) تاريخ الإسلام ص٤٤٣ .

(٣) تهذيب اللغة ١/٨ .

(٤) بغية الوعاه ١/٧٢ .

٣. أبو عبد الله إبراهيم بن محمد عرفه الأزدي المعروف بنفطويه الذي أخذ عن ثعلب والمبرد وله مصنفات كثيرة منها غريب القرآن وكتاب الرد على الجهمية قال عنه ابن كثير : قد سمع الحديث وروى عن المشايخ وحدث عنه الثقات وكان صدوقاً وله أشعار حسنة توفي عام ٣٢٣ وصلى عليه البربهاري رئيس الحنابلة [(١)] .

قال عنه الأزهري : [وقد شاهدته فألفيته حافظاً للغات ومعاني الشعر ومقاييس النحو ومقدماً في صناعته وقد خدم أبا العباس أحمد بن يحيى وأخذ عنه النحو والغريب وعرف به] [(٢)] .

٤. أبو بكر الإيادي ، قال عنه الأزهري : [وأخبرني أبو بكر الإيادي أنه عرض النوادر الذي للّحياني على أبي الهيثم الرازي وأنه صححه عليه ، قلت : قد قرأت نسختي على أبي بكر وهو ينظر في كتابه فما وقع في كتابي للحياني فهو من كتاب النوادر هذا] [(٣)] .

وروى الأزهري عن الإيادي في تهذيب اللغة كثيراً [(٤)] وفي كتابه الزاهر [(٥)] ، وسمع منه كتباً غير ما تقدم [(٦)] .

---

(١) نزهة الألباء ٢٦٠ ، والبداية ١١/١٨٣ .

(٢) تهذيب اللغة ١/٢٨ .

(٣) المصدر السابق ١/٢٢ .

(٤) ١/١٤ ، ٨٣ ، ٢٢٩ .

(٥) ص٤٤ .

(٦) انظر مقدمة معاني القراءات ص٤٠ .

٥. عبد الملك بن محمد البغوي ، روى عنه الأزهري في كتابه الزاهر[١]، وفي تهذيب اللغة [٢] .

٦. أبو بكر بن عثمان السجزي قال الأزهري : [وما كان في كتابي لأبي حاتم في القرآن عن أبي زيد فهو مما سمعته من أبي بكر بن عثمان السجزي حدثنا به عن أبي حاتم] [٣] .

٧. أبو علي بن محمد بن يحيى القراب ، روى عنه الأزهري تفسير غريب الحديث للنضر بن شميل المازني وقال عنه : شيخ ثقة من مشايخنا[٤] .

٨. أبو محمد المزني أحمد بن عبد الله الهروي قال عنه الحاكم في تاريخ نيسابور : كان إمام أهل العلم والوجوه وأولياء السلطان بخراسان في عصره بلا مدافعة توفي عام ٣٦١ [٥] .

٩. محمد بن إسحاق السعدي روى عنه الأزهري في الزاهر [٦] ، وفي تهذيب اللغة ، وفي معاني القراءات [٧] .

١٠. عبد الله بن محمد بن هاجك ، روى عنه الأزهري في التهذيب[٨]، وقال الأزهري : [ولأبي عبيد من الكتب الشريفة كتاب غريب الحديث قرأته من أوله

---

(١)ص٤٧ .

(٢) انظر ١/٦٠ ، ٢٣٧ .

(٣) تهذيب اللغة ١/١٣ .

(٤) المصدر السابق ١/١٨ .

(٥) مقدمة عبد السلام هارون للتهذيب ص٩ .

(٦) الزاهر ص٥٥ .

(٧) تهذيب اللغة ٢/٢٩٩ ، ومعاني القراءات ١/٤٤٩ .

إلى آخره على أبي محمد عبد الله بن محمد بن هاجك وقلت له : أخبركم أحمد بن عبد الله بن جبلة عن أبي عبيد فأقر به وكانت نسخته التي سمعها من ابن جبلة مضبوطة محكمة[١].

١١. أبو الحسين المزني ، سمع منه كتاب غريب الحديث لأبي عبيد[٢].

١٢. أبو الحسن علي بن الحسن السنجاني روى عنه الأزهري في كتابه الزاهر [٣].

١٣. أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى عنه الأزهري في كتابه الزاهر [٤] ، وله ترجمة في طبقات الحفاظ للسيوطي ت٣٤٥ .

١٤. الحسين بن إدريس ، روى عنه الأزهري في كتابه الزاهر [٥] ، وهو من الحفاظ وثقه الذهبي ومات عام ٣٠١ [٦].

١٥. أحمد بن علي بن رزين قرأ عليه الأزهري كتاب الكسائي في قراءات القرآن وقال له : حدثكم عبد الرحيم بن حبيب عن الكسائي فأقر به [٧].

١٦. أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج المتوفى عام ٣١١ حضره ببغداد بعد فراغه من إملاء كتابه المعاني في القرآن وأثنى عليه فقال وكان متقدما في صناعته

---

(٨) التهذيب ٣٣٨/١٣ .

(١) المصدر السابق ٢٠/١ .

(٢) التهذيب ٢٠/١ .

(٣) الزاهر ١٦٤ .

(٤) المصدر السابق ١٩٤ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٠٥ .

(٧) تهذيب اللغة ١٦/١ .

بارعا صدوقا حافظا لمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه وكـان خـدم أبـا العبـاس المبرد دهرا طويلا ، وقال عن كتابه المعاني في القرآن : و لم أتفـرغ ببغـداد لسـماعه منه [١] .

قال عبد السلام هارون : وهذا يعني أنه سمع منه بعض السماع [٢] .

١٧. محمد بن القاسم بن محمد بن بشـار بـن الحسـن أبـو بكـر الأنبـاري صـدوق فاضل من أهل السنة صنف كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديـث والمشـكل توفي عام ٣٤٨ [٣] .

قال عنه الأزهري : [وكان واحد عصره وأعلم من شاهدت بكتـاب الله ومعانيـه وإعرابه ومعرفته اختلاف أهل العلم في مشكله وله مؤلفات حسان في علـم القـرآن وكان صائنا لنفسه مقدما في صناعته معروفا بـالصدق حافظـا حسـن البيـان عـذب الألفاظ] [٤] .

١٨. الحافظ محمد بن عبـد الرحمـن السـامي [٥] ، لـه ترجمـة في طبقـات الحفـاظ للسيوطي توفي عام ٣٠١ .

١٩. أبو بكر بن أبي داود [٦] .

---

(١) التهذيب ٢٧/١ .

(٢) مقدمة التهذيب ص٨ .

(٣) تاريخ بغداد ١٨٥/٣ .

(٤) التهذيب ٢٨/١ .

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٤٣ .

(٦) المصدر السابق .

٢٠. عبد الله بن عروة روى عنه الأزهري [١] ، وروى الذهبي حديثاً في سنده الأزهري وقد أخذ الحديث عن عبد الله بن عروة [٢] .

٢١. أبو إسحاق البزار حيث روى عنه الأزهري بصيغة التحديث فقال : [قلت : والدليل على صحة ما قال ما حدثناه أبو إسحاق البزار ..][٣].

٢٢. محمد بن سعيد البوشنجي المعروف بالكوفي ، روى عنه الأزهري[٤].

٢٣. يعقوب الدورقي ، روى عنه الأزهري [٥] .

٢٤. محمد بن معاذ ، روى عنه الأزهري [٦] .

٢٥. عبد الله بن محمد بن عبد العزيز روى عنه الأزهري [٧].

٢٦. أبو طاهر بن الفضل روى عنه الأزهري في التهذيب [٨].

٢٧. محمد بن يعقوب الأصم روى عنه الأزهري في التهذيب [٩].

٢٨. أبو زيد قال في التهذيب : حدثنا أبو زيد [١٠].

---

(١) التهذيب ١٢/٢٧٤ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ص٤٤٣ .

(٣) التهذيب ١٢/٣٨٧ .

(٤) التهذيب ١٢/٣٨٨ .

(٥) المصدر السابق ٢/٤٥١ .

(٦) المصدر السابق ٥/٢٩١ .

(٧)التهذيب ٦/٤٣٠ .

(٨) ٨/٥٨ .

(٩)بغية الوعاه ١/١٩ .

(١٠) ٤/٤٢٧ .

٢٩. عبد الرحمن بن علي ، روى عنه في التهذيب [١].

٣٠. أبو الدقيش روى عنه في التهذيب [٢].

٣١. حاتم بن محبوب ، روى عنه في التهذيب [٣].

٣٢. أبو القاسم بن منيع ، روى عنه في التهذيب [٤].

٣٣. أبو الحسن الخلدي روى عنه في التهذيب [٥].

وقد أخطأ السيوطي في ترجمة الأزهري حيث قال : وأخذ عن الربيع بن سليمان[٦]، بينما الربيع قد توفي عام ٢٧٠ [٧] ، والأزهري ولد عام ٢٨٢ كما تقدم في ترجمته ، وإنما أخذ الأزهري عن تلميذ الربيع عبد الملك بن محمد البغوي كما تقدم في شيوخ الأزهري .

قلت : ويحتمل أن بعض هؤلاء الشيوخ هم شيوخ شيوخه ، ولكن نساخ كتاب التهذيب أسقطوا منه الشيخ الأول ، لأنه في التهذيب ١٢/١٠ روى عنه يعقوب الدورقي عن محمد بن إسحاق الذي هو من شيوخ الأزهري وفي التهذيب ٤٥١/٢ روى الأزهري عن الدورقي مباشرة وا لله تعالى أعلم .

• ثانيا : تلاميذه :

---

(١) ٩٧/٥ .

(٢) ٤١٢/٨ .

(٣) ٣٠٥ .

(٤) ١٢٦/٢ .

(٥) ٣٤٦/٢ .

(٦) بغية الوعاة ١٩/١ .

(٧) انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦/١ .

١. أبو عبيد أحمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي المؤدب الهروي صاحب الغريبين قال : سمعت الأزهري يقول : [هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ المعنى أنه يؤنس باتقائه لأنه يؤدي إلى الجنة ويؤنس بمغفرته لأنه غفور يقال أهلت بفلان آهل به إذا آنست بهم] [١] .

٢. الشار أبو نصر أمير غرشستان سمع بعض أجزاء من تهذيب اللغة من الأزهري وخطه بيده [٢] .

٣. أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي قال ياقوت : عظيم القدر شائع الذكر عارف باللغة أخذ عن أبي منصور الأزهري وروى عن أبي أحمد العسكري [٣] .

وقد روى جنادة هذا كتاب التهذيب عن الأزهري توفي عام ٣٩٩ [٤].

٤. أبو يعقوب القراب إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السرخسي ثم الهروي مؤرخ كان محدث هراة له كتاب تاريخ وفيات العلماء من القرن الأول إلى سنة وفاته ٤٢٩ [٥] ، قال الذهبي إنه حدث عن الأزهري [٦] .

---

(١) نزهة الألباء ٣٢٣ .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة ١١/١ .

(٣) معجم الأدباء ٢٠٩/٧ .

(٤) مقدمة التهذيب ص١١ .

(٥) الأعلام ٢٩٣/١ .

(٦) تاريخ الإسلام ص٤٤٤ .

٥. أبو ذر عبد بن أحمد الحافظ الهروي من فقهاء المالكية نزل بمكة ومات بها ت٤٣٤هـ [١] ، وذكر الذهبي أنه روى عن الأزهري [٢] .

٦. أبو عثمان سعيد القرشي ذكره الذهبي [٣] .

٧. أبو الحسين الباشاني ذكره الذهبي [٤] .

٨. علي بن أحمد بن خمرويه [٥] ، أو حمدويه [٦] .

---

(١) الأعلام ٣/٢٦٩ .

(٢) تاريخ دول الإسلام ص٤٤٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) مقدمة تهذيب اللغة ١/١٢ ، وطبقات السبكي ٣/٦٣ .

(٦) كما جاء في سند الذهبي في تاريخ دول الإسلام ص٤٤٤ .

المبحث الثالث : علمه ومؤلفاته

١. علمه :

الأزهري عالم متنوع المعارف كثير التأليف ، وصفه الذهبي بأنه علامة ، وقال : وكان رأساً في اللغة والفقه ثقة ثبتاً دينا ، وقال : وقع لي من عالي حديثه : أخبرنا أبو علي أنا عبد الله بن عمر أنا عبد الأول بن عيسى أنا أبو إسماعيل عبد الله بن محمد أنا علي بن أحمد بن حمدويه ثنا محمد بن أحمد بن الأزهر إملاء ثنا عبد الله بن عروة ثنا محمد بن الوليد عن غندر عن شعبة عن الحكم عن علي بن الحسين عن مروان بن الحكم قال : شهدت عثمان وعليا فنهى عثمان عن المتعة وأن يجمع بينهما ، فلما رأى ذلك علي أهل بهما فقال : لبيك بحجة وعمرة ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس وأنت تفعله ؟! فقال : لم أكن لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس . إسناده صحيح وهو شيء غريب إذ فيه رواية علي بن الحسين عن مروان وفيه تصويب مروان اجتهاد علي على اجتهاد عثمان مع كون مروان عثمانيا، وقال عنه أيضا : وكان بارعا في المذهب ثقة ورعا فاضلاً][1].

وقال عنه السبكي : [وكان إماماً في اللغة بصيراً بالفقه عارفاً بالمذهب عالي الإسناد ثخين الورع كثير العبادة والمراقبة شديد الانتصار لألفاظ الشافعي متحرياً في دينه [2] .

وذكر الذهبي الأزهري في موضع آخر غير ما تقدم ووصفه بأنه علامة ونقل عنه مذهبه السلفي الموافق لقول أهل السنة والجماعة في علو الله على عرشه] [3].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٤٥ ، وسير أعلام النبلاء ٣١٧/٢٦ .

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ٦٤/٣ .

(٣) مختصر العلو ص٢٤٩ .

وقال عنه السيوطي : وكان رأساً في اللغة وكان عارفاً بالحديث عالي الإسناد ثخين الورع [(١)] .

وقال عنه ابن العماد الحنبلي له المصنفات الكبار الجليلة المقدار ووصفه بأنه علامة[(٢)] .

قلت: وهو رحمه الله كما قال عنه واصفوه ولا شك أنه رأس في اللغة وكتابه تهذيب اللغة يدل على هذا كما يقول الأنباري : [وصنف الكتاب المشهور في اللغة وهو كتاب تهذيب اللغة وهو أكبر كتاب صنف في اللغة وأحسنه] [(٣)] .

وقال ابن منظور : ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي ابن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق] [(٤)] .

وهذه شهادة عالم كبير في اللغة لها وزنها فهي ليست عن تقليد أو جهل وهو رحمه الله يخبر عن نفسه بأنه استكثر من علم اللغة[(٥)] ، وليس الأزهري عالماً باللغة فحسب بل هو عالم في الحديث أيضاً وقد مر معنا أنه روى عن جماعة من حفاظ الحديث وهو ثقة فيما يرويه حيث وثقه الذهبي

---

(١) بغية الوعاه ١/١٩ .

(٢) شذرات الذهب ٣/٧٢ .

(٣) نزهة الألباء ٣٢٤ .

(٤) لسان العرب ١/٧ .

(٥) الزاهر ٣٤ .

وغيره ، وروى الذهبي بسنده من عالي حديثه كما تقدم وهو يتكلم عن منهج المحدثين في رواياتهم مما يدل على خبرته في هذا الشأن حيث يقول : [فإنهم إذا صح لهم في الباب حديث رواه لهم الثقات عن الثقات أثبتوه واعتمدوا عليه ثم ألحقوا به ما يؤيده من الأخبار التي أخذوها إجازة] [(١)]، ويتعاطى الحكم على الأسانيد مما يدل على معرفته بعدالة الرواه فيقول بعد أن يروي بسنده عن ابن عباس حديثا في النهي عن متعة النساء [قلت : وهذا حديث صحيح][(٢)] .

ويذكر خبراً مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم على إسناده بالحسن [(٣)] ، ويذكر حديثا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : وهذا حديث غير صحيح [(٤)] ، ويغلّط محمد بن الحسن في قوله بنسخ حديث جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة الخبر فيقول : والنسخ لا يكون في الأخبار إنما النسخ في الأحكام [(٥)] ، ويتكلم في شيء من مصطلح الحديث فيقول : [والمسند من الحديث ما اتصل إسناده حتى

---

(١) تهذيب اللغة ٣٤/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٩٣/٢ .

(٣) المصدر السابق ٤٥٧/٥ .

(٤) المستدرك على التهذيب ص١٢٩ ولكن الحديث صححه جمع من أهل العلم منهم الحاكم ٥٤٠/٢ ، والذهبي وحسنه ابن حجر في الفتح ٢٠٦/٨ ، والألباني ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٣٧٢ .

(٥) المصدر السابق ٣٢٨/١٣ .

يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمرسل والمنقطع ما لم يتصل[1]، ومع هذا فهو ليس من المكثرين في الحديث كأصحاب الكتب الستة وليس له مؤلفات مستقلة في السنة وإنما هو عارف بالحديث كما قال السبكي في طبقاته ، وهو فقيه أيضا تفقه على مذهب الشافعي وترجم له الشافعية في طبقاتهم كما تقدم وهو يقول عن نفسه : [فإني لما كثر تصفحي لجوامع آيات التنزيل وما أودعها الله تعالى من البيان الذي لا يستغني عنه عباده ثم ما درسته من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم المبينة جمل تلك الجوامع ومن آثار صحابته رضي الله عنهم ، وأخبار التابعين لهم بإحسان ما ازددت به بصيرة فيما علمناه من الكتاب عطفت على النظر في المؤلفات التي صنفها فقهاء أمصار المسلمين من الحجازيين والعراقيين وغيرهم من الأئمة المتقين وذوي البصائر المميزين فدرستها وأخذت حظي من فوائدها وألفيت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أنار والله برهانه ولقاه رضوانه ـ أثقبهم بصيرة وأبرعهم بيانا وأغزرهم علما وأفصحهم لسانا وأجزلهم ألفاظا وأوسعهم خاطراً فسمعت مبسوط كتبه وأمهات أصوله من بعض مشايخنا وأقبلت على دراستها دهراً] [2] ، وهذا النص نستفيد منه أنه اختار مذهب الشافعي وإن اختياره مبني على إدراكه مزايا مذهب الشافعي لا لمجرد التقليد لأهل بلده أو نحو ذلك من الإعتبارات التي يسير

---

(١)

(٢) الزاهر ١/٣٤ .

عليها المقلدة وأنه توسع في دراسة المذهب فدرس مبسوط كتبه وأمهات أصوله وأنه درسه على مشايخ المذهب ونستفيد من النص السابق منهجية الأزهري في تلقي العلم فهي منهجية فريدة حيث بدأ بدراسة القرآن ثم بدراسة السنة ثم بدراسة آثار الصحابة والتابعين الشارحة للقرآن والسنة المبينة لأحكامهما وفوائدهما ثم بدراسة كتب فقهاء الإسلام في شتى أمصار المسلمين وهي ولا شك منهجية سلفية تبني طالب العلم بناءً صحيحا وتعصمه من البدع بإذن الله ، والأزهري شرح غريب فقه الشافعي في كتاب مستقل وخبرته بمذهبه خبرة تامة فهو يشير إليه كثيراً عندما يذكر حكماً من الأحكام [١] ، وأما معرفته بغير مذهب الشافعي فهي أقل فإنه لما ذكر قول أبي إسحاق : لا أعلم بين أهل اللغة اختلافاً فيه أن الصعيد وجه الأرض ، قال : وهذا الذي قاله أبو إسحاق أحسبه مذهب مالك ومن قال بقوله ولا أستيقنه فأما الشافعي والكوفيون فالصعيد عندهم التراب [٢] .

والأزهري أيضا عالم بالتفسير وقد ألف كتاباً سماه التقريب في التفسير واختياراته في التفسير تدل على عمق فهمه فمنها مثلاً : ذكر قول قتادة حيث فسر العالمين في قوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ بأن العالمين هم

---

(١) انظر التهذيب ٤٢٣/٨ و ١٠٩/١ و١٧٣/٦ و٤٨٠/١ .

(٢) التهذيب ٨/٢ .

الخلق كلهم وذكر قول ابن عباس بأن المراد بالعالمين الجن والإنس ثم قال : والدليل على صحة قول ابن عباس قول الله عز وجل ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ وليس النبي صلى الله عليه وسلم نذيرا للبهائم ولا للملائكة وهم كلهم خلق الله وإنما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نذيرا للجن والإنس] [1] .

ومنها : لما ذكر قول الليث في قوله تعالى ﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ أن هذا من قول المشركين للملائكة يوم القيامة وقول ابن عباس : إن هذا قول الملائكة ، قال : وهذا أشبه بنظم القرآن المنزل بلسان العرب وأحرى أن يكون قوله حجراً محجوراً كلاماً واحداً لا كلامين مع إضمار كلام لا دليل عليه[2].

وانتقد الليث لأنه فسر آية برأيه [3] ، وانتقد أبا حاتم لأنه جعل قبل وبعد من أسماء الأضداد في قوله ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها﴾ وبين الأزهري بأن الدحو غير الخلق فالله خلق الأرض قبل السماء غير مدحوه فلما خلق

---

(١) تهذيب اللغة ٤١٦/٢ .

(٢) تهذيب اللغة ١٣٢/٤ .

(٣) تهذيب ١١٠/٨ .

السماء دحى الأرض وبسطها وبهذا تكون الآيات مؤتلفة غير متناقضة كما زعم الملحدون[١].

واستقصاء هذا يطول وإنما ذكرت أمثلة [٢] .

وأما علمه بالقراءات فلا شك أنه على درجة عالية ومن اطلع على مؤلفه المطبوع بعنوان معاني القراءات عرف ذلك وله كتاب بعنوان القراءات وعلل النحويين فيها ذكره في التهذيب[٣] ، والله أعلم هل هو الكتاب الأول أم كتاب آخر وله تمييز واضح بين القراءات الشاذة وغيرها فمثلا يقول وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قول الله عز وجل ﴿ وإنا لجميع حادرون ﴾ بالدال ، ثم قال : والقراءة بالذال حاذرون لا غير والدال شاذة لا يجوز عندي القراءة بها وقرأ عاصم وسائر القراء بالذال[٤].

ويقول في قوله صلى الله عليه وسلم : " نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف " ، لقد أشبعت تفسيره في كتاب القراءات وعلل النحويين فيها وأنا مختصر لك في هذا الموضع من الجمل التي أودعتها ذلك الكتاب ما يقف بك على الصواب فالذي أذهب إليه في تفسير قوله : نزل القرآن على سبعة أحرف ما ذهب إليه أبو عبيد واتبعه على ذلك أبو

---

(١) تهذيب ٢/٢٤٣ .

(٢) انظر مثلا التهذيب ٢/٢٤٣ و٩/١٠٥ ، وانظر معاني القراءات ٢/٢٤٤ و٢/٢٧٤ .

(٣) ٥/١٣ التهذيب .

(٤) تهذيب اللغة ٤/٤٠٩ .

العباس أحمد بن يحيى فأما قول أبي عبيد فإن عبد الله بن محمد بن هاجك أخبرني عن ابن جبلة عن أبي عبيد أنه قال في قوله على سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب قال : وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا لم نسمع به قال : ولكن نقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة ، قال : ومما يبين ذلك قول ابن مسعود : وإني قد سمعت القراءة ووجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم إنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال وأقبل ، وأخبرني المنذري عن أبي العباس [١] أنه سئل عن قوله " نزل القرآن على سبعة أحرف " فقال : ما هي إلا لغات ، قلت : فأبو العباس النحوي وهو واحد عصره قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد واستصوبه ، قلت : وهذه الأحرف السبعة معناها اللغات غير خارجة من الذي كتب في مصاحف المسلمين التي اجتمع عليها السلف المرضيون والخلف المتبعون فمن قرأ بحرف لا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان أو تقديم مؤخر أو تأخير مقدم وقد قرأ به إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف وخالف بذلك جمهور القراء المعروفين فهو غير مصيب وهذا مذهب أهل

---

(١) أبو العباس هو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه ثقة دينا مشهورا بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب توفي عام ٢٩١ انظر نزهة الألباء ٢٢٨ .

العلم الذين هم القدوة ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً وإلى هذا أومى أبو العباس النحوي وأبو بكر الأنباري في كتاب له ألفه في اتباع ما في المصحف الإمام ووافقه على ذلك أبو بكر بن مجاهد مقريء أهل العراق وغيره من الأثبات المتقنين ولا يجوز عندي غير ما قالوا وا لله يوفقنا للاتباع وتجنب الابتداع إنه خير موفق وخير معين (١) .

وهذا الكلام الذي ذكره هنا لم أجده في معاني القراءات مما يقوي الظن بأن كتاب علل القراءات غير كتاب معاني القراءات إلا أن يكون هذا الكلام قد سقط من الكتاب المطبوع .

وقال الأزهري : قال الليث : ومن قرأ ﴿ وعَبُدَ الطاغوتُ ﴾ فمعناه صار الطاغوت يعبد كما يقال فقه الرجل وظرف ، قلت ـ القائل الأزهري ـ : غلط الليث في القراءة والتفسير ما قرأ أحد من قراء الأمصار وغيرهم ﴿وعَبُدَ الطاغوت ﴾ إنما قرأ حمزة ﴿وعَبُدَ الطاغوتِ ﴾ وهي مهجورة أيضا ....وذكر الليث أيضا قراءة أخرى ما قرأ بها أحد وهي ﴿ وعابدو الطاغوت ﴾ جماعة وكان رحمه ا لله قليل المعرفة بالقراءات وكان نوله ألا يحكي القراءات الشاذة وهو لا يحفظها لقاريء قرأ بها وهذا دليل على أن

(١) تهذيب اللغة ١٣/٥ .

إضافته كتابه [١] إلى الخليل بن أحمد غير صحيح لأن الخليل كان أعقل وأورع من أن يسمي مثل هذه الحروف قراءات في القرآن ولا تكون محفوظة لقاريء مشهور من قراء الأمصار ودليل على أن الليث كان مغفلاً][٢] .

وبهذا يتضح لنا مكانة الأزهري في العلم وتعدد معارفه وتنوعها وسلامة منهجه في تلقي العلم من حيث اعتماده على القرآن وآثار الصحابة والتابعين ولغة العرب الفصحى وكلام أئمة المسلمين ومما يدل على تحريه في الرواية قوله : [وهذا آخر الكتاب الذي سميته تهذيب اللغة وقد حرصت ألا أودعه من كلام العرب إلا ما صح لي سماعاً من أعرابي فصيح أو محفوظاً لإمام ثقة حسن الضبط مأمون على ما أدى........ ولم أذهب فيما ألفت وجمعت في كتابي هذا مذهب من تصدى للتأليف فجمع ما جمع من كتب لم يحكم معرفتها أو لم يسمعها ممن أتقنها[٣] ومما يدل على تحريه في العلم وتثبته أنه لما ذكر عن المؤرج تفسيره " لعسقر " بأنه الجلد الصبور وأورد بيت شعر في هذا قال : ولا أدري من روى هذا عن المؤرج ولا أثق به [٤] .

---

(١) يقصد كتاب العين .

(٢) تهذيب ٢/٢٣٥ .

(٣) تهذيب اللغة ١٥/٦٩٢ .

(٤) تهذيب ٣/٢٨٤ .

ونظرا لأن الأزهري رحمه ا لله لا يوثّق الليث [١] ولا ابن دريد[٢] فإنه نصح القاريء بألا يعتمد على ما انفردا به من أقوال ، وقال : [يجب على الناظر فيها أن يفحص عنها فإن وجدها محفوظة لإمام من أئمة اللغة أو في شعر جاهلي أو بدوي إسلامي علم أنها صحيحة وإذا لم تصح من هذه الجهة توقف عن تصحيحها [٣] .

ومما يدل على ضبط الأزهري وتثبته في العلم أنه اختلف إلى شيخه الإيادي لمدة سنتين لسماع مصنف أبي عبيد ونسخه ثم أجرى مراجعته على نسخته مع شيخه الذي كان قد صحح نسخته على شمر بن حمدويه ثم قرأ غريب الحديث لأبي عبيد على شيخه أبي محمد عبد ا لله بن محمد بن هاجك وأرد أن يتثبت من سماع شيخه فقال له : أخبركم أحمد بن عبد ا لله بن جبلة عن أبي عبيد ، فأقر به ثم سمع الكتاب أيضا من شيخه أبي الحسين المزني [٤] .

---

(١) هو الليث بن المظفر قال عنه الأزهري بأنه نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله ، التهذيب ص٢٨ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال عنه الأزهري : وسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم وقال ودخلت يوما عليه فوجدته سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من غلبة السكر عليه ، التهذيب ص٣١ .

(٣) تهذيب اللغة ٥/٦٩٢ .

(٤) تهذيب اللغة ١/٢٠ .

ولا شك أن هذا غاية في التثبت وقد أعطى الله الأزهري حسن الخط فهو يجتهد في كتبه بيده ويعتني بها كما شهد له بهذا الزمخشري حيث وجد بخطه على نسخة من تهذيب اللغة ما صورته " ظفرت من هذه النسخة التي هي نسيج وحدها لكونها بخط المصنف وسلامة نقطها وشكلها من التحريف والزلل الذي لا يكاد يبرأ منه يد كاتب في كتاب خفيف الحجم وإن أحضر ذهنه وأمده إتقان وساعده حفظ ودراية فضلا عن عشرين مجلد - بضالتي المنشودة فأكببت عليها إكباب الحريص ...] [١] وشهادة العالم الزمخشري المشهور تكفي في هذا الشأن .

ومما يدل على تثبته أيضا أنه ينعى على الذي يكتب من الصحف المكتوبة من غير سماع على العلماء فهو يعيب على أحمد بن محمد البشتي صاحب كتاب الحصائل هذا المسلك فيقول : والصحفي إذا كان رأس ماله صحف قرأها فإنه يصحف فيكثر [٢] ، وكان من منهجه في العلم رحمه الله نشره وعدم الظن به ولذا فهو يمدح الذين بهذه الصفة فيقول عن أبي الهيثم الرازي : ولم يكن ضنيناً بعلمه وأدبه [٣] ، وينعى على الذين يضنون بالعلم فيقول عن أبي عمرو وشمر بن حمدويه الهروي أنه ألف كتاباً كبيراً في اللغات أسسه على الحروف المعجمة وابتدأ بحرف الجيم.... ولما أكمل

---

(١) مقدمة عبد السلام هارون للتهذيب ص٢٦ .

(٢) تهذيب اللغة ١/٣٣ .

(٣) تهذيب اللغة ١/٢٦ .

الكتاب ضنّ به في حياته و لم ينسخه طلابه فلم يبارك له فيما فعله حتى مضى لسبيله .... والضنّ بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه] [١] .

ومما يدل على حرصه رحمه الله على العلم وطلبه قوله : [قد كنت منذ تعاطيت هذا الفن في حداثتي إلى أن بلغت السبعين مولعاً بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها وأخذها من مظانها وأحكام الكتب التي تأتى لي سماعها من أهل التثبت والأمانة للأئمة المشهرين وأهل العربية المعروفين وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن واختلط بها أصرام من تميم وأسد بالهبير نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون إلى أعداد المياه ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش فبقيت في إسارهم دهراً طويلا وكنا نتشتى الدهناء ونتربع الصمان ونتقيظ الستارين واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضا ألفاظا جمة ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب] [٢] ،قلت : فقد وفق الأزهري أيما توفيق فإن هذا من كمال عقله فإن القرامطة لا يمكن أن يؤخذ منهم فقه ولا حديث وإنما تؤخذ منهم اللغة كما تؤخذ من

---

(١)المصدر السابق ١/ ٢٥ .

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٧ .

شعراء الجاهلية فهم يشتركون في الفصاحة وإتقان العربية مع شعراء الجاهلية وغيرهم من الأعراب الذين لم تفسد ألسنتهم مخالطة الأعاجم .

والأزهري بثاقب بصره بعد توفيق الله حول المحنة إلى منحة واستفاد من وقته في حفظ لغة القرآن والسنة فرحمه الله رحمة واسعة .

٢. مؤلفاته

مؤلفاته

١. تهذيب اللغة وهذا الكتاب أثبته له جميع من ترجموا له واشتهر به الأزهري شهرة واسعة وقد طبع الكتاب في سبعة عشر مجلداً مع الفهارس بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين معه، يقول د. حسين نصار : [ومن الظواهر الهامة في الكتاب أيضا عناية المؤلف بالشواهد القرآنية والحديثية عناية كبيرة فاق بها غيره من اللغويين الذين رأينا آثارهم والسبب في ذلك قريب واضح يدل على عناية المؤلف نفسه بربط القرآن والدين باللغة فهذا الإرتباط هو الذي ولد عنده هذه العناية الفائقة وكان يستشهد بالقراءات المختلفة] (١).

وهذه الظاهرة التي ذكرها الدكتور حسين نصار واضحة مشاهدة لا تكاد تخلو منها صفحة من الصفحات وهذا مما يزيد قيمة الكتاب العلمية .

٢. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي طبع هذا الكتاب بتحقيق د. محمد جبر الألفي وقد أشار المؤلف إلى هذا الكتاب فقال : [وقد شرحت هذا في تفسير حروف المختصر بأوضح من هذا](٢).

والمختصر الذي يشير إليه هو مختصر المزني صاحب الشافعي حيث يقول الأزهري في مقدمة كتاب الزاهر : [فأعملت رأيي في تفسير ما استغرب

---

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره لحسين نصار ٢٧٥/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٩/٣ .

منها في الجامع الـذي اختصـره أبـو إبراهيـم إسمـاعيل بـن يحيـى المزنـي مـن جميعها] [١]، أي جميع مؤلفات الشافعي وهو يقع في مجلد ضخم .

٣. معاني القراءات وقد طبع بتحقيق د. عيد مصطفى درويش وزميلـه و د. عوض حمد القوزي .

٤. القراءات وعلل النحويين فيها ذكره الأزهـري نفسـه بهـذا الاسـم [٢]، ويحتمل أنه هو الكتاب الذي قبله .

٥. تفسير إصلاح المنطق ذكره جمع ممن ترجم له .

٦. التقريب في التفسير ذكره جمع ممن ترجم له .

٧. معاني شواهد غريب الحديث ذكره جمع ممن ترجم له .

٨. تفسير شعر أبي تمام ذكره جمع ممن ترجم له .

٩. تفسير أسماء ا لله الحسنى ذكره جمع ممن ترجم له .

١٠. الروح وما جاء فيه من القرآن والسنة وهذا الكتاب ذكـره الأزهـري نفسه [٣]، وذكره جمع ممن ترجم له .

١١. تفسير السبع الطوال ذكره جمع ممن ترجم لـه وظـن [٤]، أحمـد عبـد الغفور عطار أنها السـور الطـوال مـن أول المصحـف وتعقبـه عبـد السـلام

---

(١) مقدمة الزاهر ص٣٤ .

(٢) تهذيب اللغة ١٣/٥ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٢٣/٥ .

(٤) مقدمة تهذيب اللغة للعطار ص٣ .

هارون وقال : المراد بها المعلقات السبع التي سماهـا ابـن الأنبـاري القصـائد السبع الطوال [1] .

١٢. كتاب الأدوات ذكره جمع ممن ترجم له .

١٣. معرفة الصبح ، ذكره جمع ممن ترجم له .

١٤. الرد على الليث ، ذكره جمع ممن ترجم له .

وهناك كتب لم يذكرها مـن ترجـم لـه مـن الأقدمـين ولا أغلـب البـاحثين المعاصرين وإنما ذكرها صاحب كشف الظنون وبعض من نقلوا عنه .

وفي نسبتها إليه نظر عندي ، وهي :

١. أخبار يزيد بن معاوية . كشف الظنون ٣١ ، ٢٨٩ .

٢. كتاب الحيض . كشف الظنون ١٤١٤ .

٣. ناسخ القرآن ومنسوخه ، هداية العارفين ٢/٤٩ .

وكتبه كلها مفقودة لم يشر أحد مـن البـاحثين إلى مخطوطـات لهـا مـا عـدا الثلاثة التي طبعت ونشرت وهي تهذيـب اللغـة والزاهـر ومعـاني القـراءات وقد اطلعت عليها جميعا واستفدت منها في بحثي هذا .

---

(١) مقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام ص١٤ .

الباب الثاني
عقيدته

الفصل الأول : أهمية معرفة عقيدة الناقلين للغة والمصنفين فيها

الفصل الثاني : منهجه في آيات وأحاديث الصفات

الفصل الثالث : عقيدتـــه في التوحيد والإيمان

الفصل الرابع:عقيدته في بعض المسائل الغيبيات

الفصل الخامس : عقيدتــــــــــه في النبوات

الفصل السادس : عقيدته في الإمامة والصحابة

الفصل السابع : موقفه من الفرق المبتدعــــة

الفصل الثامن : الرد على الطاعنين في عقيدتـه

الفصل الأول

أهمية معرفة عقيدة الناقلين للغة والمصنفين فيها

اللغة العربية نزل بها القرآن ووردت بها سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾[(١)]، وقال ﴿وإنه لتنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾[(٢)]، وقال مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾[(٣)]، وما دام هذا حالها فإن تعلمها وتعليمها من الدين ولذا أشار الشافعي إلى أن اللغة العربية سيحفظها الله عند عامة العرب كما يحفظ سبحانه السنن عند أهل الفقه فقال : لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظاً وما نعلم أحداً يحيط بجميعها غير نبي ولكنها لا يذهب منها شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها والعلم بها عند العرب كالعلم بالسنن عند أهل الفقه لا نعلم رجلا جمع السنن كلها فلم يذهب عليه منها شيء فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على جميع السنن وإذا فرّق علم كل واحد منهم ذهب

---

(١) يوسف ٢ .

(٢) الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ .

(٣) النحل ٤٤ .

على الواحد منهم الشيء منها ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره وهم في العلم طبقات منهم الجامع لأكثره وإن ذهب عليه بعضه والجامع لأقل مما جمع غيره فينفرد جملة العلماء بجميعها وهم درجات فيما وعوا منها وكذلك لسان العرب عند عامتها وخاصتها لا يذهب منه شيء عليها ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه إلا من قبلها ولا يشركها فيه إلا من اتبعها وتعلمها منها ومن قبله منها فهو من أهل لسانها وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أعم من علم أكثر السنن في أكثر العلماء مقدرة][1].

وإذا كانت اللغة العربية بهذه المكانة فإن تعلمها فرض إما فرض عين وإما فرض كفاية ، قال الأزهري : [إن تعلم العربية التي بها يتوصل إلى تعلم ما به تجري الصلاة من تنزيل وذكر فرض على عامة المسلمين وإن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها التي بها تمام التوصل إلى معرفة ما في الكتاب والسنن والآثار وأقاويل المفسرين من الصحابة والتابعين] ، وقال الخطابي : [إن بيان الشريعة لما كان مصدره لسان العرب وكان العمل بموجبه لا يصح إلا بإحكام العلم بمقدمته كان من الواجب على أهل العلم وطلاب الأثر أن

---

(١) تهذيب اللغة ١/٤ .

المصدر السابق ١/٥ وهذا النص موجود في الرسالة للشافعي ص٤٢ إلا أن النص الذي نقله الأزهري أضبط مما هو موجود في الرسالة مما يدل على أن كتب العلماء الأقدمين قد يتصرف النساخ في بعض ألفاظها وإن كان الاختلاف يسيرا والحمد لله .

يجعلوا أولاً عظم اجتهادهم وأن يصرفوا جل عنايتهم إلى علم اللغة والمعرفة بوجوهها والوقوف على مثلها ورسومها] [١] .

وقال ابن فارس : إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ...... ولسنا نقول إن الذي يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ما قالته العرب لأن ذلك غير مقدور عليه .... بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التي بأكثرها نزل القرآن وجاءت السنة [٢] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : [ومعلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسنة المائلة عنه فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيباً فكيف إذا جاء قوم إلى الألسنة العربية المستقيمة والأوزان القويمة فأفسدوها بمثل هذه المفردات والأوزان المفسدة للسان الناقلة عن العربية العرباء إلى أنواع الهذيان الذي لا يهذي به إلا قوم من الأعاجم الطماطم العميان][٣] .

وإذا تبين لنا من هذه النقول والاستنباطات المهمة بأن تعلم اللغة العربية وتعليمها من الدين فإنهيلزم أن يطبق في منهج تلقيها ما يطبق في منهج تلقي

---

(١) غريب الحديث ١/٥٣ .

(٢) الصاحبي لابن فارس ص٥٠ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٢/٢٥٢ .

الدين ، وأهم ذلك معرفة عقيدة من ينقل لنا اللغة [١] أو يضيف فيها فقد يكون مبتدعاً يدعو إلى بدعته ويكذب في اللغة ليروج بدعته ولذا كثر تحذير أهل السنة والجماعة من الرواية عن أهل البدع الذين يكذبون لترويج بدعهم فقد روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين أنه قال : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، وأنه قال : لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[٢].

وروي عن ابن المبارك أنه كان يقول على رؤس الناس : " دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف " [٣] .

---

(١) لابد من التفريق بين من يقول اللغة في زمن الاحتجاج بها وبين من يروى اللغة فالأول يكون قوله حجة بغض النظر عن عقيدته كشعراء الجاهلية فالواحد منهم يحتج به لأنه لا يستطيع أن ينطق بغير العربية وهذا ما يفسر لنا أن علماء اللغة قد يحتجون بقول فاسد في الدين كمن يمدح الخمر ويثني على الصنم ويحتجون بقول أهل البدع الأقدمين كالمتقدمين من الخوارج والناصبة والشيعة الذين يتكلمون على السليقة العربية وإن كان مضمون كلام أحدهم فاسداً كأن يشتم الصحابة أو يروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبت بسند صحيح فأهل اللغة ينظرون إلى ثبوت هذه اللفظة لذلك المعنى عند العرب فحسب وبعضهم يكتفي بهذا وبعضهم يبين بطلان المعنى الفاسد ويبين بطلان الحديث أو الأثر إن كان باطلا أو يشير إلى القائل بما يبين فساد عقيدته ومذهبه وأما الناقلون للغة بعد زمن الاحتجاج أو المفسرون لمعاني ألفاظها رواية أو كتابة فهم الذين يهتم العلماء بالتأكد من سلامة معتقداتهم وصدقهم في الرواية .

(٢) صحيح مسلم ٨٤/١ .

(٣) المصدر السابق ٨٩/١ .

وروي عن جرير أنه قال : " لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه كان يؤمن بالرجعة " [(١)] .

فهؤلاء الرواة حذر منهم السلف لفساد عقيدتهم مما دفعهم إلى الكذب لترويج بدعهم يقول ابن حجر عند كلامه عن أسباب الطعن في الراوي : [ثم البدعة إما بمكفر أو بمفسق فالأول لا يقبل صاحبها الجمهور والثاني يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته في الأصح إلا إن روى ما يقوي بدعته فيرد على المختار وبه صرح الجوزجاني شيخ النسائي] [(٢)] .

ولا فرق بين رواية اللغة والحديث ما دام أن الكل دين ، قال ابن الأنباري : [يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلاً رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا كما يشترط في نقل الحديث لأن بها معرفة تفسيره وتأويله فاشترط في نقلها ما اشترط في نقله وإن لم تكن في الفضيلة من شكله فإن كان ناقل اللغة فاسقاً لم يقبل نقله[(٣)] .

وقال الزركشي في البحر المحيط : قال أبو الفضل ابن عبدان في شرائط الأحكام وتبعه الجيلي في الإعجاز : لا تلزم اللغة إلا بخمس شرائط :

---

(١) المصدر السابق ١/١٠١ .

ونقل النووي عن القاضي عياض أنه قال : [ومعنى إيمانه بالرجعة ما تقوله الرافضة وتعتقده بزعمها الباطل أن علياً رضي الله عنه في السحاب فلا نخرج يعني مع من يخرج من ولده حتى ينادى من السماء أن اخرجوا معه] شرح النووي ١/١٠١ .

(٢) شرح نخبة الفكر لابن حجر ص١٠٢ .

(٣) المزهر ١/١٣٨ .

أحدها : ثبوت ذلك عن العرب بسند صحيح يوجب العمل .

والثاني : عدالة الناقلين كما تعتبر عدالتهم في الشرعيات .

والثالث : أن يكون النقل عمن قوله حجة في أصل اللغة كالعرب العاربة مثل قحطان ومعد وعدنان ... ، .

والرابع : أن يكون الناقل قد سمع منهم حساً وأما بغيره فلا .

والخامس : أن يسمع من الناقل حسا] [١] .

وقال ابن فارس : [فليتحر أخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا [٢].

ومما يدل على أن أهل البدع يبحثون عن أي قول لأهل اللغة يسند بدعهم قول ابن الأعرابي : أرادني ابن أبي داود [٣] أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ استوى بمعنى استولى ، فقلت : والله ما يكون هذا ولا وجه له [٤].

---

(١) المصدر السابق ٥٨/١ .

(٢) الصاحبي ص٤٨ .

(٣) هو رئيس القضاة في زمن المعتصم والواثق ، وهو الذي قاد فتنة القول بخلق القرآن وهو من أصحاب واصل بن عطاء فتأثر ببدعته مات بالفالج عام ٢٤٠هـ .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٢٦٦ .

فكيف لو كان ابن الأعرابي غير ثقة ويطلب منه رئيس القضاة أن يطلب في بعض لغات العرب ما يسند بدعته ألا يضع له ما يناسبه من الأشعار حتى ينال على رضاه وأعطياته .

ولإدراك الأزهري رحمه الله لأهمية سلامة العقيدة للناقلين للغة والمصنفين فيها نراه يثني على من اعتمد عليهم في كتابه بسلامة اعتقادهم فيقول عن الأصمعي بأنه شديد التوقي لتفسير القرآن صدوقا صاحب سنة [١] .

وليس مراده بقوله صاحب سنة أن الأصمعي من أهل الحديث المؤلفين في السنة فإن الأصمعي ليس كذلك وإنما يريد أنه صاحب سنة يعني على عقيدة أهل السنة والجماعة وليس من أهل البدع ، ويقول عن أبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء : وهو ثقة مأمون قاله أبو عبيد وغيره ، وكان من أهل السنة ومذاهبه في التفسير حسنة [٢] .

وقال عن أبي عبيد القاسم بن سلام : [وكان دينا فاضلا عالما أديبا فقيها صاحب سنة معنيا بعلم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل] [٣] .

وقال عن أبي الهيثم الرازي :"إنه كان عالماً ورعاً كثير الصلاة صاحب سنة"[٤] .

---

(١) تهذيب اللغة ١/١٤ .

(٢) المصدر السابق ١/١٨ .

(٣) المصدر السابق ١/١٩ .

(٤) المصدر السابق ١/٢٦ .

وفي مقابل ثناء الأزهري على أهل السنة نراه يحذر مـن أهـل البـدع فيقـول عن محمد بن المستنير المعروف بقطرب - وهو معـتزلي - [وكـان متهمـا في رأيه وروايته عن العرب أخبرني أبو الفضل أنه حضر أبـا العبـاس أحمـد بـن يحيى فجرى في مجلسه ذكر قطرب فهجنه و لم يعبأ به (١).

وقال عن عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ ــ وهـو معـتزلي - [.. إن أهـل المعرفة بلغات العرب ذموه وعن الصدق دفعوه وأخبر أبو عمرو الزاهـد أنـه جرى ذكره في مجلس أحمد بن يحيى فقال : اعذبوا عن ذكـر الجـاحظ فإنـه غير ثقة ولا مأمون (٢).

ونراه يحذر من معاني اللغة المدخوله على العربية مـن أهـل البـدع فيقـول : قال الليث .... وتقـول العـرب : سمعـت اذنـي زيـدا ، يفعـل كـذا أي أي أبصرته بعيني يفعل ذلك . قلت : لا أدري من أين جاء الليث بهذا الحـرف وليس من مذاهب العرب أن يقول الرجل سمعت أذني بمعنى أبصـرت عيـني وهو عندي كلا فاسد ولا آمـن أن يكـون مما ولـده أهـل البـدع والأهـواء وكأنه من كلام الجهمية] (٣) وهذا يـدل علـى أن توليـد أهـل البـدع للغـة كان معروفاً للعلماء ولا يمكن أن يروج على الجهابذة والحمد لله .

---

(١) المصدر السابق ١/٣٠ .

(٢) المصدر السابق ١/٣٠ .

(٣) المصدر السابق ٢/١٢٣ .

وما ذكره الأزهري هو ما ذكره العلماء قبله وبعده من الثناء على أهل السنة ليعرفهم الناس ويتلقوا العلم عنهم ويعرفوا أهل البدع ويحذروهم فهذا إبراهيم الحربي يذكر أن كثيراً من أهل اللغة في البصرة أهل أهواء ويستثنى أربعة ويقول إنهم أصحاب سنة وهم : أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب والأصمعي ، وهذا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني يثنون على الأصمعي بأنه من أهل السنة[1] ، ولولا أن لذكر حسن اعتقاد الرجل المتخصص في اللغة ومعانيها فائدة في أخذ العلم منه لما ذكروه والرجال الذين ذكروهم هم أصحاب لغة ونحو وشعر والذين أثنوا عليهم في عقائدهم يعرفون ذلك جيدا فدل على أنهم يرون أن الشأن في اللغة كشأن الحديث النبوي وأن المبتدع الذي لا يؤمن على السنة لا يؤمن على لغة السنة وكما أن الوضاعين وضعوا أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم قد احترفوا الوضع في اللغة : يقول الأزهري عن الأصمعي : [وكان أملي في بغداد كتابا في النوادر فزيد عليه ما ليس من كلامه فأخبرني أبو الفضل المنذري عن أبي جعفر الغساني عن سلمة قال : جاء أبو ربيعة صاحب عبد الله بن طاهر صديق أبي السمراء بكتاب النوادر المنسوب إلى الأصمعي فوضعه بين يديه فجعل الأصمعي ينظر فيه فقال : ليس هذا كلامي كله ، وقد زيد فيه علي فإن أحببتم أن أعلم على

---

(١) نزهة الألباء ١٢٣ .

ما أحفظه منه وأضرب على الباقي فعلت وإلا فـلا تقـرأه ، قـال سـلمة بـن عاصم : فأعلم الأصمعي على ما أنكر من الكتاب وهو أرجـح مـن الثلـث ثم أمرنا فنسخناه له] [١].

إن فساد الاعتقاد يحمل صاحبه على تفسير اللغـة العربيـة علـى غـير معناهـا ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١. بشر المريسي الجهمي يفسر معنـى الأصبعـين في قولـه صلـى ا لله عليـه وسلم : " القلوب بين أصبعين من أصـابع الرحمـن يقلبهـا كيـف شـاء " ، بالقدرتين وهذا لا يصح في اللغة إذا جاء بصيغة التثنية يقول الإمام الدارمـي في رده عليه : [ورويت أيها المريسي عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسـلم أنه قال : " القلوب بين أصبعـين مـن أصـابع الرحمـن يقلبهـا كيـف شـاء " فأقررت أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قاله ثم رددته بـأقبح محـال وأوحـش ضلال ولو قد دفعت الحديث أصلا كان أعذر لك من أن تقر بـه ثـم تـرده بمحال من الحجج وبالتي هي أعوج فزعمت أن أصبعي ا لله قدرتيه ، قلـت: وكذلك قوله ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ أي في ملكـه ، فيقـال لك : أيها المعجب بجهالته في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيـه؟ فأنبئنا بها فإنا قد وجدناها خارجة في جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها فكيـف صـارت القلـوب مـن بـين

---

(١) تهذيب اللغة ١/١٥ .

الأشياء بين قدرتين ؟ وكم تعدها قدره ؟ فإن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال بين أصبعين من الأصابع وفي دعواك هي أكثر من قدرتين وثلاث وأربع حكمت فيها للقلوب بقدرتين وسائرها لما سواها ففي دعواك هذا أقبح محال وأبين ضلال فكيف ادعيت أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه أنهما صارتا يوم القيامة في ملكه كأنهما كانتا قبل يوم القيامة في ملك غيره خارجتان عن ملكه فكان مغلوبا عليهما في دعواك] [(١)].

٢. المثال الثاني : تفسير المعتزلي لجعل بأنه بمعنى خلق دائما وبناء على هذا التفسير الخاطيء أوهموا من لا علم عنده بأن القرآن مخلوق بنص القرآن حيث قال سبحانه ﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربيا** ﴾ [(٢)] .

يقول الإمام أحمد بن حنبل حاكياً هذا الانحراف ورادا عليه : [فمما يسأل عنه الجهمي [(٣)] يقال له : تجد في كتاب ا لله أنه يخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلا يجد . فيقال له : فتجده في سنة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أنه قال إن القرآن مخلوق ؟ فلا يجد . فيقال له : فمن أين قلت ؟ فسيقول : من

---

(١) رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ضمن عقائد السلف ص٤١٧ .

(٢) الزخرف ١ .

(٣) السلف يطلقون الجهمية على المعتزلة وعلى كل من أنكر الصفات أو أولها على خلاف ظاهرها .

قول ا لله ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾] [١] ، وزعم أن جعـل بمعنـى خلـق ، فكل مجعول هو مخلوق فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتـج بهـا مـن أراد أن يلحد في تنزيله ويبتغي الفتنة في تأويلها ، وذلك أن جعل في القرآن مـن المخلوقين على وجهين : على معنى التسمية ، وعلى معنى فعل من أفعالهم، وقوله ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ [٢] ، قـالوا هـو شـعر وأنبـاء الأولـين وأضغاث أحلام فهذا على معنى التسمية . قال ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً] [٣] ، يعني أنهم سموهم إناثا . ثم ذكر جعـل علـى غـير معنى التسمية فقال : [يجعلون أصابعهم في أذانهم][٤]، فهذا معنى فعل مـن أفعالهم ، وقال ﴿ حتى إذا جعله ناراً ﴾ هذا على معنى فعـل فهـذا جعـل المخلوقين . ثم جعل من أمر ا لله على معنى خلـق وجعـل علـى معنـى غـير خلق .... فمما قال ا لله جعل على معنى خلق قوله ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ [٥] يعني وخلق الظلمات والنور

---

(١) الزخرف ١ .

(٢) الحجر ٩١ .

(٣) الزخرف ١٩ .

(٤) البقرة ١٩ .

(٥) الأنعام ١ .

... ثم ذكر جعل على غير معنى خلق ... وقال لأم موسى ﴿ **إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ [(١)] لا يعني وخالقوه من المرسلين لأن الله وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله من بعد ذلك رسولا] [(٢)].

٣. المثال الثالث : تفسير الرافضة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " ليردنّ عليّ الحوض أقوام ثم ليختلجن دوني فأقول يارب أصيحابي فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم " ، فقال الروافض : إن هذا الحديث يدل على كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بضعة نفر وهذا الفهم إنما هو من سوء فهم اللغة العربية أو تعمد إساءة فهمها ، يكشف هذا الزيف الإمام ابن قتيبة فيقول : [إنهم لو تدبروا الحديث وفهموا ألفاظه لاستدلوا على أنه لم يرد بذلك إلا التقليل يدلك على ذلك قوله " ليردن علي الحوض أقوام ، ولو كان أرادهم جميعاً إلا من ذكروا لقال : لتردن علي الحوض ثم لتختلجن دوني ، ألا ترى أن القائل إذا قال : أتاني اليوم أقوام من بني تميم وأقوام من أهل الكوفة فإنما يريد قليلا من كثير ولو أراد أنهم أتوه إلا نفرا يسيرا قال : أتاني بنو تميم وأتاني أهل الكوفة ، ولم يجز أن يقول قوم لأن القوم هم الذين تخلفوا ، ويدلك أيضا قوله : يارب أصيحابي بالتصغير وإنما

---

(١) القصص ٧ .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص٦٩ ضمن عقائد السلف .

يريد بذلك تقليل العدد كما تقول مررت بأبيتات متفرقة ومررت بجُميعه ونحن نعلم أنه قد كان يشهد مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم المشاهد ويحضر معه المغازي المنافق لطلب المغنم والرقيق الدين والمرتاب والشاك وقد ارتد بعده أقوام ..... وأما جميع أصحابه إلا الستة الذين ذكروا فكيف يختلجون وقد تقدم قول ا لله تبارك وتعالى فيهم ﴿ **محمد رسول اله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ إلى آخر السورة ، وقوله تعالى ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ..**﴾ فكيف يجوز أن يرضى ا لله عز وجل عن أقوام ويحمدهم ويضرب لهم مثلا في التوراة والإنجيل وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إلا أن يقولوا إنه لم يعلم وهذا شر الكافرين] (١) .

واكتفي بذكر هذه الأمثلة المتقدمة الدالة على أن فساد العقيدة يحمل أصحابه على أن يفسروا اللغة العربية بما يوافق عقيدتهم الفاسدة وإلا فتتبع هذا الأمر يحتاج إلى مؤلف مستقل وهذا يظهر بجلاء أهمية دراسة عقيدة الناقلين للغة والمصنفين فيها حتى يكون القاريء على حذر من صاحب العقيدة الفاسدة لئلا يدس عليه معنى ليس صحيحا فيضل بسبب هذا المعنى في فهم نصوص الوحي كما دس الزمخشري المعتزلي معنى ليس صحيحا في

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص٢٣٣ .

حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن " فقال : " والمعنى بهذا الاستماع الاعتداد بقراءة النبي وإبانة مزيتها وشرفها عنده ومنه قولهم : الأمير يسمع كلام فلان يعنون أن له عنده وزنا وموقعا حسنا [١]، وقارن بين هذا التفسير المحرف للمعنى الصحيح وبين تفسير أهل السنة حيث يقول أبو عبيد في تفسير هذا الحديث : " بمعنى ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن يقال أذنت للشيء آذن له إذا استمعت له] [٢] .

وكما دس القاضي عبد الجبار المعتزلي في معنى قوله تعالى ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [٣] معنى ليس صحيحا في تفسير الاستواء فقال : إنه الاستيلاء والاقتدار محتجاً بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق] [٤]

يقول ابن كثير : [والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه استيلاء ببيت باطل :

---

(١) الفائق في غريب الحديث للزمخشري .

(٢) تهذيب اللغة ١٥/١٦ .

(٣) يونس ٣ .

(٤) متشابه القرآن ١/٣٥ .

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وليس فيه دليل فإن هذا الاستدلال باطل من وجوه كثيرة وقد كان الأخطل نصرانياً] [(١)] .

وقال ابن القيم : سئل ابن الأعرابي هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى ؟ فقال : لا تعرف العرب ذلك وهذا هو من أكابر أئمة اللغة][(٢)]، ثم تكلم ابن القيم بكلام جميل حول رد هذا التحريف الذي حمل عليه فساد الاعتقاد فانظره إن شئت [(٣)] .

وقد يكون الحامل للمفسرين للغة العربية على غير معناها الصحيح هو ما في ألسنتهم من العجمة من غير قصد التحريف كما قال الحسن البصري : عن هذا الصنف [إنما أهلكتهم العجمة [(٤)]، وكما قال البخاري [زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا وألفاظنا به شيء واحد والتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء فقيل له إن التلاوة فعل التالي وعمل القاريء فرجع وقال ظننتها مصدرية] [(٥)] .

---

(١) البداية والنهاية ٧/٩ .

(٢) مختصر الصواعق ١٢٧/٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) خلق أفعال العباد ـ ضمن عقائد السلف ص٢٠١ .

(٥) المصدر السابق .

فضعف الفهم في اللغة العربية أوّمى بهذا القائل إلى الخطأ في الإعتقاد وشبيه بهذا ما ذكره الأزهري عن قوم زعموا أن قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [1]، معارض لقوله ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾[2]، فرد عليهم قائلاً : [ولا تناقض بحمد ا لله فيها عند من يفهمهما وإنما أتي الملحد الطاعن فيما شاكلها من الآيات من جهة غباوته وغلط فهمه وقلة علمه بكلام العرب] [3] .

فقد أوضح الأزهري أن قلة العلم بكلام العرب يوقع في فساد العقيدة واعتقاد الباطل .

---

(١) فصلت ١١ .

(٢) النازعات ٣٠ .

(٣) تهذيب ٢/٢٤٣ .

الفصل الثاني
منهجه في
آيات وأحاديث الصفات

الفصل الثاني

منهجه في آيات وأحاديث الصفات

الأزهري لم يكن له مؤلفات مستقلة في العقيدة ولا في الفرق وإنما استنبطت عقيدته استنباطا من خلال كلامه في مؤلفاته المطبوعة وهي تهذيب اللغة والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ومعاني القراءات وكتابه تهذيب اللغة قد حوى مجمل اعتقاده وهو إما يصرح به وإما يورد قولاً في العقيدة ولا يعقب عليه فأعتبر إيراده له وسكوته عنه مع موافقته لمنهجه الثابت عنه إقراراً له وذلك لأنه نص في مقدمة تهذيبه بأنه نقل عن فئتين من الناس :

الفئة الأولى : يسميهم الإثبات المتقنين فيقول : [وإذ فرغنا من ذكر الأثبات المتقنين والثقات المبرزين من اللغويين وتسميتهم طبقة طبقة إعلاما لمن غبي عليه مكانهم من المعرفة كي يعتمدوهم فيما يجدون لهم من المؤلفات المروية عنهم] [١]، وهؤلاء الأثبات قد قسمهم إلى خمس طبقات وترجم لبعضهم [٢]، وهم الذين قال عنهم إن اعتمادي عليهم فيما جمعت في هذا الكتاب [٣].

---

(١) تهذيب الغة ٢٧/١ .

(٢) المصدر السابق ١٨/١ من مقدمة المحقق .

(٣) تهذيب اللغة ٨/١ .

وأما الفئة الثانية : فهي التي نقل عنها بضوابط معينة فقد قال عنها إنهم : [اتسموا بسمة المعرفة وعلم اللغة وألفوا كتباً أودعوها الصحيح والسقيم وحشوها بالمزال المفسد والمصحف المغير الذي لا يتميز ما يصح منه إلا عند النقاب المبرز والعالم الفطن](١).

ومن أهم الضوابط التي سلكها مع هذه الفئة أنه ينقل عنها ما عرف صحته كأن يجده عند غيرها من الثقات أو يكون مسموعا من فصحاء العرب ، وإذا لم يكن الحال كذلك فإنه ينقل القول ولكن يتبعه بما يدل على وجوب التثبت من صحته كأن يقول : إني لم أجده لغيره (٢)، ونحو هذا من العبارات الدالة على شذوذ القول ، وبناء على هذا المنهج الذي قرره اعتبرت الأقوال التي لم يردها أو يعقب عليها أو يتوقف فيها أو ينسبها إلى أحد من الفئة الثانية ويقول إني لم أجده لغيره اعتبرتها هي التي يعتقدها وهي التي تحدد ملامح فهمه وعلمه لا سيما أنه لا ينقل من غير روية وتبصر حتى من الفئة الأولى الذين يسميهم الأثبات المتقنين فإنه يخالف بعضهم أحيانا ويرجح قول بعضهم على بعض هذا مع التذكير بما أشرت إليه سابقا من أن أهل اللغة ينظرون إلى القول من ناحية ثبوته عن أهل الاحتجاج باللغة دون النظر إلى مضمونه الفقهي أو العقدي وأن إيرادهم للأقوال والأشعار لا يعني موافقتهم على مضامينها الفقهية والعقدية ولكن

---

(١) المصدر السابق ٢٨/١ .

(٢) المصدر السابق ٢٩/١ .

الأزهري يصرح بمعتقده كثيراً في المسائل وهـذا الـذي عليـه جـل اعتمـادي وأحيانا يورد في المسألة أقوالا لأهل السنة ويضرب صفحاً عـن أقـوال أهـل البدع فأعتبر أن اقتصاره على ذكر الحق دون ذكـر الأقـاويل الباطلـة تـأييدا منه لما نقل كما أن المسألة التي أجد له فيها قولا صريحاً فإنني أضيف إليها ما ذكره عرضا عن غيره لأنه يؤكد نفس القضية عنده .

بنوع من أنواع الدلالة : مثال ذلك إذا وجدت له قولا صريحا في الثناء على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فما يذكره بعد ذلك من أقاويل نقلهـا في فضلها والثناء عليها عن غيره فأعتبر هذا تأييداً منـه لقولـه السـابق ، وذلـك لأنه لو كان يحمل ضغينة وعداء لأم المؤمنين كما هو شأن الرافضـة فإنـه لا يستكثر من الأقوال التي في فضلها بل يبحـث عـن أمثلـة أخـرى وهـذا فيـه استئناس وزيادة تأكيد للقضية التي ثبتت عنده بنص واضـح بخـلاف مـا لـو ذكر بيتاً شعرياً لأحد الخوارج في الطعن في علي مثـلاً و لم يعلـق عليـه فـإن هذا لا يعتبر تأكيداً لقضية عنـده بـل نسبته البيـت إلى الخـارجي كـاف في التحذير منه كأنه يقول للقاريء إنما هذا قول الخوارج لا قول أهل السنة لا سيما وقد حـذر مـن الخـوارج في مواطـن مـن كتابـه فـلا يلزمـه أن يكـرر التحذير مـن قولهـم عنـد كـل ذكـر لـه ولا يطعـن في عقيدتـه بمثـل هـذا ، وكذلك المصطلحات البدعية فإن إيرادهـا علـى مقتضـى فهـم أصحابهـا لا يعني إقرارا من المؤلف لمضامينها كلفظة المحكمة في مفهوم الخوارج أو لفظـة الشراة أو لفظة القدرية لا سيما إذا كان منهجه المأخوذ من أقواله الصريحـة

يرد مثل هذا مع أن الأزهري من أكثر اللغويين استطرادا في المسائل العقدية والفقهية والإنكار على أهل البدع الذين يستغلون تفسير اللغة لترويج بدعهم مما يدل على شدة غيرته فلا يريد أن تفوت مناسبة دون أن ينتهزها لإظهار الحق الذي يعتقده وهذا في الغالب وإلا فإنه يسكت عن كثير من المسائل الخارجة عن هدف الكتاب وهو إثبات اللغة العربية ، وتفسير معاني ألفاظها وإثبات هذه المعاني بالشواهد العربية ، وبتتبعي لمؤلفات الأزهري المطبوعة اتضح لي أنه يسير على منهج أثري هو منهج أهل السنة والجماعة فقواعده في تلقي آيات وأحاديث الصفات وتقريرها هي القواعد السلفية المشهورة ومنها ما يلي :

[١] إثبات ما أثبته الله تبارك وتعالى لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه القاعدة قاعدة إجماعية يجمع عليها السلف الصالح فإنهم لا ينفون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم بناء على مقايسات عقلية .

يقول الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث] (١) .

ويقول ابن قتيبة خطيب أهل السنة والجماعة (٢) : [... نحن لا ننتهي في صفاته جل جلاله إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ذكره ابن تيمية في الفتوى الحموية ص١٠١ .

(٢) ذكر هذه الصفة له ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٣٩١/١٧ .

ولا ندفع ما صح عنه لأنه لا يقوم في أوهامنا ولا يستقيم على نظرنا بل نؤمن بذلك من غير أن نقول فيه بكيفية أو حد أو نقيس على ما جاء ما لم يأت] [١] ، وقال أيضاً : [فنحن نقول كما قال الله تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ولكنا لا نقول كيف] [٢] .

وهذه القاعدة السلفية العظيمة يسير عليها الأزهري فهو يقول : [ولا يجوز عند أهل العلم أن يوصف الله جل وعز بصفة لم ينزلها في كتابه ولم يبينها على لسان نبيه عليه السلام] [٣]، ويقول : [... فإني لا أحب أن ألفظ بلفظ في صفة الله لم يصف به نفسه في التنزيل أو في السنة] [٤]، وقال معقباً على قول رؤبة :

فارتاح ربي واراد رحمتي

ونعمة أتمها فتمت

وتفسير ارتاح أي نظر إلي ورحمني . قلت : [القائل هو الأزهري] وقول رؤبة في فعل الخالق جل وعز ارتاح قاله بأعرابيته ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ في صفته لأن الله جل وعز إنما يوصف بما وصف به نفسه ولولا

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٢٠٨ .

(٢) اختلاف اللفظ لابن قتيبة ص١٣٦ .

(٣) تهذيب اللغة ١١٢/٥ .

(٤) المصدر السابق ١٩٨/٥ .

أن الله هدانا بفضله لتحميده وحمده بصفاته التي أنزل في كتابه ما كنا لنهتدي لها أو نجتريء عليها] [١] .

[٢] تنزيه الله سبحانه عما نزه نفسه عنه في كتابه كما قال سبحانه ﴿ليس كمثله شيء ﴾ [٢]، وقال ﴿ هل تعلم له سميا ﴾[٣]، وقال ﴿ ولم يكن له كفؤا أحد ﴾ [٤]، وقال ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾[٥]، والسلف الصالح مجمعون على هذه القاعدة العظيمة يقول نعيم بن حماد شيخ البخاري [٦] : [من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيه ولا تمثيل] [٧] .

والأزهري رحمه الله يورد هذه القاعدة مما يدل على أنه على منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة فهو يقول : [سبحانك . معناه أسبحك ، أي

---

(١) تهذيب اللغة ٥/٢٢٠ .

(٢) الشورى ١١ .

(٣) مريم ٦٥ .

(٤) الإخلاص ٤ .

(٥) النحل ٧٤ .

(٦) التحفة المهدية ص٣١ ، وصحح الألباني سند هذا القول ، نظر مختصر العلو ص١٨٤ .

(٧) هو أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي روى عن سفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وآخرون ، وروى عنه يحيى بن معين والبخاري وآخرون ت٢٢٨ انظر التهذيب لابن حجر ٤٥٨/١

أنزهك عما يقول الظالمون وسبحان مصدر أريد به الفعل قال ا لله عز وجل ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ أي سبحوا اله حين تمسون : أي صلوا له ، وقوله في الركوع سبحان ربي العظيم أي أسبح ربي العظيم . وتنزيه ا لله سبحانه وتعالى : تبعيده من الشرك وهو بمعنى التسبيح ومن صفات ا لله تعالى : سبوح قدوس ، والسبوح البعيد عن الشكل والنظير والضد والنديد وقيل سبحان ا لله : أي براءة ا لله كأنه يقول أبريء ا لله عز وجل عن كل ضد وند] (١)، وقال في تهذيب اللغة : [ومعنى تنزيه ا لله من السوء تبعيده منه وكذلك تسبيحه تبعيده من قولك سبحت في الأرض إذا أبعدت فيها ومنه قوله جل وعز ﴿ كل في فلك يسبحون ﴾ وذكر قول ابن شميل أن معنى سبحان ا لله السرعة إليه ثم رجح خلاف قول ابن شميل فقال : [والقول هو الأول وجماع معناه تنزه تبارك وتعالى عن أن يكون له مثل أو شريك أو ضد أو ند] (٢) .

ولا شك أن كلام الأزهري المتقدم في غاية التنزيه لله ربنا من كل عيب ونقص وهو موافق لما أجمع عليه أهل السنة والجماعة .

[٣] عدم الخوض في كيفية صفات ا لله مع إدراك معانيها وهذه القاعدة العظيمة مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة لدلالة قول ا لله تبارك وتعالى

---

(١) الزاهر للأزهري ص٨٧ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٣٨/٤ .

عليها ، قال سبحانه ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ [١] يقول الحافظ الخطيب[٢] : " والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف [٣] .

ويقول ابن تيمية : [وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال : سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن [٤] عن قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق ، وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه . منها ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : ياأبا عبد الله

---

(١) طه ١١٠ .

(٢) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب من العلماء المتبحرين والحفاظ الثقات وهو صاحب تاريخ بغداد ت٤٦٣ انظر شذرات الذهب ٣/٣١١ .

(٣) مختصر العلو للألباني ٤٨ .

(٤) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ من التابعين وهو فقيه أهل المدينة في زمنه انظر تاريخ بغداد ٨/٤٢٠ .

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً ثم أمر به أن يخرج][١].

ويقول الذهبي بعد أن ساق هذه القصة عن مالك : [هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك وهو قول أهل السنة قاطبة [٢] .

والأزهري رحمه الله يقرر هذه القاعدة مما يدل على أنه على منهج أهل السنة والجماعة حيث يقول عند كلامه عن صفة العظمة لله تعالى [وعظمة الله لا تكيف ولا تحد ولا تمثل بشيء ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيف ولا تحديد] [٣].

ويقول عن إثبات صفة السمع : [قلت : والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع فراراً من وصف الله بأن له سمعاً وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه فهو سميع : ذو سمع بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه ولا سمعه كسمع خلقه ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف] [٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٤٠ .

(٢) مختصر العلو ص١٤١ .

(٣) تهذيب اللغة ٢/٣٠٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٢/١٢٤ .

وقال : [...وإنما تنتهي في صفات الله إلى ما وصف به نفسه ولا تجاوزه إلى غيره لجوازه في .....تعالى الله عن التمثيل والتشبيه علوا كبيرا] [١] .

وقال عند قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ [٢] .

[فالغمام معروف في كلام العرب إلا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله عز وجل يوم القيامة في ظلل منه فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته وكذلك سائر صفات الله جل وعز] [٣] .

[٤] ما وصف الله به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم هو على الحقيقة لا على المجاز وهو على ظاهره مع اعتقاد أن ظاهره يليق بالله ولا يشبه صفات المخلوقين وهذه القاعدة العظيمة مما أجمع عليها السلف كما حكاه عنهم الخطابي [٤] فقال : [فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها] [٥] .

---

(١) المصدر السابق ١٩٨/٥ .

(٢) البقرة ٢١٠ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٤٦/٣ .

(٤) هو أبو سليمان حمد بن محمد فقيها محدثا صاحب غريب الحديث ومعالم السنن ت٣٨٨ ، وانظر شذرات الذهب ١٥٠/٣ .

(٥) مجموع الفتاوى ٥٨/٥ .

وقال ابن عبد البر [1] : [أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الـواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لم يكيفوا شيئا من ذلك وأما الجهمية والمعتزلة والخـوارج فكلهـم ينكرهـا ولا يحمـل منهـا شيئا على الحقيقة ويزعمون أن من أقربها مشبه وهم عند من أقر بها نـافون للمعبود] [2] .

ويقول الحافظ الخطيب : [أما الكـلام في الصفـات فـإن مـا روي منهـا في السنن الصحاح فمذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤهـا علـى ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها] [3] .

والأزهـري رحمـه الـه يسـلك هـذا المسـلك الـذي أجمـع عليـه أهـل السـنة والجماعة فيقول : [وفي الحديث أن جهنم تمتليء حتى يضع الله فيها قدمـه ... وأخبرني محمد بن إسحاق السعدي عن العباس الـدوري أنـه سـأل أبـا عبيد عن تفسيره وتفسـير غـيره مـن حديـث النزول والرؤيـة فقـال : هـذه أحاديث رواها لنا الثقات عن الثقات حتى رفعوهـا إلى النبي عليـه السـلام

---

(١) هو الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي إمام عصره في الحديث لـه مؤلفـات جمه ت٤٦٣ انظر شذرات الذهب ٣/٣١٥ .

(٢) مختصر العلو ٢٦٨ والنص بأتم من هذا في التمهيد ٧/١٤٥ .

(٣) مختصر العلو ٤٨ .

وما رأينا أحدا يفسرها فنحن نؤمن بها على ما جاءت ولا نفسرها . أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت] [١] .

فهذا الأزهري يوافق أبا عبيد ويفسر مقصوده بأن هذه النصوص يؤمن بها على ظواهرها وعاب الأزهري على الذين يتركون ظواهر النصوص فقال : [وكل باطن يدعيه مدع في كتاب الله عز وجل يخالف ظاهر كلام العرب الذين خوطبوا به فهو باطل لأنه إذا جاز لهم أن يدعوا فيه باطنا خلاف الظاهر جاز لغيرهم ذلك وهو إبطال للأصل [٢].

[٥] الاعتماد على خبر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيح في إثبات الأسماء والصفات بدون اشتراط التواتر وهذه القاعدة محل إجماع بين السلف الصالح نقل ذلك ابن القيم فقال : [إن هذه الأخبار لو لم تفد اليقين فإن الظن الغالب حاصل فيها ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها فما الفرق بين باب الطلب وباب الخبر بحيث يحتج بها في أحدهما دون الآخر !! وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العمليات كما تحتج بها في الطلبيات العمليات ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه ديناً فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه

---

(١) تهذيب اللغة ٩/٤٦ .

(٢) الزاهر ص٣٧٨ .

الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ولم ينقل عن واحد منهم ألبتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته فأين سلف المفرقين بين البابين] (١) .

والأزهري رحمه الله يسلك هذا المسلك في إثبات أسماء الله وصفاته فهو يقول في كلمة يمين الله : [وقال بعضهم قيل للحلف يمين باسم يمين اليد وكانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا أو تحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا ولذلك قال عمر لأبي بكر : ابسط يدك أبايعك ، قلت : وهذا صحيح وإن صح أن يمينا من أسماء الله كما روي عن ابن عباس فهو الحلف بالله غير أني لم أسمع يمينا في أسماء الله إلا ما رواه عطاء بن السايب عن ابن جبير عنه والله أعلم] (٢) .

قلت : فإثبات الاسم عنده متوقف على صحة الرواية وليس على تواترها، وقال أيضا : [وقال ابن الأنباري : إن قال قائل : كيف سمى الله يحيى سيداً وحصوراً والسيد هو الله إذ كان مالك الخلق أجمعين ولا مالك لهم سواه ؟ قيل : لم يرد بالسيد ههنا المالك وإنما إراد الرئيس والإمام] (٣) .

قلت : الأزهري أقر تسمية الله بالسيد على معنى المالك وتسمية الله بالسيد لم تأت في القرآن وإنما جاءت في الخبر الصحيح وهو غير متواتر

---

(١) مختصر الصواعق ٤١٢/٢ .

(٢) تهذيب ٥٢٦/١٥ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٥/١٣ .

كما جاء في حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا فقال : السيد الله تبارك وتعالى [(١)] ، وهذا يدل على منهج الأزهري في إثبات الأسماء والصفات وأن الأمر يتوقف على آية كريمة أو حديث صحيح كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويقول الأزهري بعد أن ساق روايات أحاديث النظر إلى الله يوم القيامة : وهي من صحاح أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وغررها ولا ينكرها إلا مبتدع صاحب هوى [(٢)] فهو يقرر الاعتماد على هذه الأخبار لوجود الصحة فقط و لم يشر إلى مسألة التواتر من عدمها كما يفعله أهل البدع الذين يردون صحاح الآثار ولا يقبلونها في العقيدة لأنها غير متواترة بزعمهم !! .

[٦] أسماء الله سبحانه متضمنه لصفاته فليست هي أعلام للدلالة على الذات فقط بل هي أعلام وصفات والقرآن الكريم يدل على هذه القاعدة، قال سبحانه ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ [(٣)]، وقال ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ [(٤)]، فالرحيم هو المتصف بالرحمة وأهل اللغة لا يطلقون عليم إلا

---

(١) مسند أحمد ٢٤/٤ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٧٠٠ .

(٢) تهذيب ٤٥٨/١١ .

(٣) سبأ ٢ .

(٤) الكهف ٥٨ .

على من له علم ولا سميع إلا على مـن لـه سمـع ولا بصـير إلا علـى مـن لـه بصر[١] .

والأزهري يطلـق علـى أسمـاء الـه بأنهـا صفـات ا لله لأنـه يعلـم أن الهـدف الأعظم من إيرادها هو إثبات الصفـة فهـو يقـول : [والكبـير في صفـة ا لله تعالى العظيم الجليل][٢] .

ويورد تفسير مادة رزق وفيه [... الرزّاق والرازق من صفة ا لله جل وعـز لأنه يرزق الخلق أجمعين][٣] .

ويقول : [ومن صفات ا لله جل وعز السبوح القدوس قال أبـو إسـحاق : السبوح الذي تنزه عن كل سوء والقدوس المبارك وقيل الطاهر قال : وليس في كلام العرب بنـاء علـى فعـول بضـم أولـه غـير هذيـن الاسمـين الجليلـين وحرف آخر وهو قولهم للذريح [وهي دويبة] ذروح وسائر الأسماء تجـيء على فَعول][٤] .

فالأزهري أطلق على السبوح القدوس بأنها صفات مـع أنـه نقـل عـن أبـي إسحاق بأنها أسماء مما يدل على أنه يرى جواز إطلاق الصفـة علـى الاسـم لتضمن الاسم للصفة ويقول : [قال ا لله جل وعـز ﴿ولله الأسماء الحسنى

---

(١) انظر القواعد المثلى لابن عثيمين ص٩ .

(٢) تهذيب ٢١١/١٠ .

(٣) تهذيب ٤٢٩/٨ .

(٤) تهذيب ٣٤٠/٤ .

فادعوه بها ﴾ وهي صفاته التي وصف بها نفسه فكل من دعا الله بأسمائه فقد أطاعه ومدحه ولحقه ثوابه][١]، وهذا الإطلاق أقره الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أطلقه الصحابي الجليل على أسماء الله كما رواه البخاري عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخبروه أن الله يحبه] [٢] .

قال ابن التين : [إنما قال لأنها صفة الرحمن لأن فيها أسماءه ، وأسماءه مشتقة من صفاته] [٣] .

ويقول الأزهري : قال الليث : الرحمن الرحيم اسمان اشتقاقهما من الرحمة قال : ورحمة الله وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين ، وقال الزجاج : الرحمن الرحيم صفتان معناهما فيما ذكر أبو عبيدة ذو الرحمة قال : ولا يجوز أن يقال رحمن إلا لله جل وعز] [٤] .

---

(١) تهذيب ٣٤١/٤ .

(٢) صحيح البخاري ١٦٥/٨ .

(٣) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ١ /٦١ .

(٤) تهذيب ٤٩/٥ .

وقال أيضا : [والسميع من صفات الله وأسمائه] [١] .

وهذا يدل على أنه يرى أن كل اسم يدل على صفة له سبحانه وهذا بخلاف رأي المبتدعة الذين يقولون سميع بلا سمع وعليم بلا علم [٢] .

[٧] تقديم كتاب الله وقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم على كل قول أحد وهذه القاعدة العظيمة هي جوهر الاستسلام لله والإنقياد له وهي بخلاف قول أهل البدع الذين يقدمون العقل على النقل والنقل هو القرآن والسنة ، والأزهري يسير على هذه القاعدة العظيمة فقد نقل قول الزهري : لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نقل تفسير هذا الكلام عن أبي عبيد حيث قال : أراد لا تجعل شيئا نظيرا لكتاب الله ولا لكلام رسول الله يقول لا تتبع قول قائل من كان وتدعهما] [٣] ، وقد اعتبر ابن القيم مقولة : إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل " بأنها طاغوت يجب كسره وقد كسره رحمه الله من وجوه عديدة [٤] .

[٨] ترك المراء والجدل في الدين وعدم الاعتماد على التأويلات المستكرهة وهذه القاعدة العظيمة يقررها الأزهري في كتابه الزاهر فيقول بعد أن ذكر

---

(١) تهذيب ١٢٣/٢ .

(٢) انظر المعتزلة لزهدي جار الله ص٦٥ .

(٣) تهذيب ٣٧٢/١٤ .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ١٢٩/٢ .

أنواع الكفر الذي لا يغفره الله [وأما الكفر الذي هو دون ما فسرنا .... والقول في القرآن وصفات الله تعالى بخلاف ما عليه أئمة المسلمين وأعلام الهدى والراسخون في العلم بالتأويلات المستكرهة واعتماد المراء والجدل] [١]، ولا شك أن هذه القاعدة التي ذكرها الأزهري قاعدة سلفية عظيمة وإنما يخالفها أهل البدع ويجنحون إلى التأويل لأسباب عديدة ذكرها أهل العلم [٢]، ومنها اعتمادهم على الكلام المذموم الذي قال عنه أبو يوسف صاحب أبي حنيفة : من طلب العلم بالكلام تزندق ، وقال عنه الشافعي : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ، وقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما كنت أظنه ولأن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله خير من أن يبتلى بالكلام ، وقال عنه أحمد بن حنبل : ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح وقل أحد نظر في الكلام إلا كان في قلبه غل على أهل الإسلام [٣] .

---

(١) الزاهر ٣٨١ .

(٢) انظر المجلد الأول من مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم .

(٣) انظر هذه النقول في كتاب موافقة صحيح المنقول بهامش منهاج السنة لابن تيمية ١٤١/١ .

ويقول أبو جعفر الطحاوي في ذكره لمذهب أهل السنة والجماعة :" ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين] [١] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : [الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله جل وعز ولا يعد ذلك][٢] .

(١) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني ص٣٨ .

(٢) ٣٩٨/٢ الرسائل والمسائل المروية عن أحمد تحقيق الأحمدي .

الفصل الثالث

عقيدته في التوحيد والإيمان

الفصل الثالث

عقيدته في التوحيد والإيمان

التوحيد هو إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات كما تدل عليه أعظم سورة في القرآن ، وهي سورة الفاتحة وقد عقد ابن القيم فصلا عظيما في تفسيره لبيان اشتمال سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل [(١)] .

ويقول الشيخ السعدي عليه رحمة الله : [اعلم أن التوحيد المطلق : العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال ، وإفراده وحده بالعبادة وهو ثلاثة أقسام:

أحدها : توحيد الأسماء والصفات وهو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ونفي ما نفاه عن

---

(١) التفسير القيم ص٢٤ .

نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله .

والثاني : توحيد الربوبية بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين .

الثالث : توحيد الإلهية ويقال له توحيد العبادة وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده وهذا الأخير يستلزم القسمين الأوليين ويتضمنهما لأن الألوهية التي هي صفة نعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سوله] [١].

والأزهري رحمه الله يسلك في أنواع التوحيد الثلاثة مسلك أهل السنة والجماعة وقد ظهر هذا من الفصل المتقدم حيث أن منهجه في آيات وأحاديث الصفات منهج أثري لا تشوبه شائبة ومما يزيد هذا الأمر إيضاحا

---

(١) القول السديد لابن سعدي ص١١ .

أنه في توحيد الأسماء والصفات يقرر أن المراد هو فهم معاني الأسماء والصفات وليس مجرد عد ألفاظ لا يدرك التالي لها معنى فهو يقول : [وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " فمعناه والله أعلم من أحصاها علماً وإيماناً بها ويقيناً بأنها صفات الله جل وعز ولم يرد الإحصاء الذي هو العد] (١) .

وينقل الأزهري قول ابن عرفة مؤيدا له فيقول : [وقال ابن عرفة الملقب بنفطويه في قول الله ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ أي سبحه بإسمائه ونزهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه قال : ومن سمى الله بغير ما سمى به نفسه فهو ملحد في أسمائه وكل من دعاه بأسمائه فمسبح له بها إذ كانت أسماؤه مدائح له وأوصافاً] (٢) .

ولولا أن الداعي يعرف المعاني التي يثني بها على الله لما كان ما دحا ، وهذا الذي قرره الأزهري هو الذي عليه المعول عند السلف الصالح يقول أبو عمر الطلمنكي (٣) : من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المعرفة بالأسماء وبالصفات وما تتضمنه من الفوائد وتدل عليه من الحقائق ومن لم

---

(١) تهذيب ٥/١٦٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٤/٣٤١ .

(٣) أحمد بن محمد المعافري الأندلسي ثقة حافظ صاحب سنة واتباع ومعرفة بأصول الديانة وكان سيفا مجردا على أهل البدع ت٤٢٩ انظر شذرات الذهب ٣/٢٤٣ .

يعلم ذلك لم يكن عالما لمعاني الأسماء ولا مستفيدا بذكرها ما تدل عليه من المعاني [١] .

ويقول ابن القيم : [...في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى : إحصاء ألفاظها وعدها .

المرتبة الثانية : فهم معانيها ومدلولها .

المرتبة الثالثة : دعاؤه بها كما قال تعالى ﴿ و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وهو مرتبتان :

أحدها : دعاء ثناء وعبادة .

والثاني : دعاء طلب ومسألة ، فلا يثني عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكذلك لا يسأل إلا بها فلا يقال ياموجود أو ياشيء أو ياذات اغفر لي وارحمني بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب][٢] .

ويشنع ابن القيم على صنف من الناس ظنوا أن أسماء ا لله وصفاته من المتشابه الذي لا يعلمه إلا ا لله ثم بناء على هذا الفهم صرفوا أنفسهم عن التدبر في معاني أسماء ا لله وصفاته وظنوا أن المراد هو التعبد بألفاظها المجردة

---

(١) فتح الباري ٢٢٦/١١ .

(٢) بدائع الفوائد ١٦٤/١ .

وظنوا أن هذا هو مذهب السلف وهم غالطون ويسميهم ابن القيم أهل التجهيل [١]، لأنهم صرحوا أنهم يجهلون معاني الأسماء والصفات ولأن قولهم يتضمن تجهيل الرعيل الأول بأعظم ما في كتاب الله من الآيات البينات والأزهري عليه رحمة الله لا يرى آيات الأسماء والصفات من المتشابه فإنه ذكر تفاسير أهل العلم للمتشابه وليس منهم أحد ذكر أن آيات وأحاديث الصفات من المتشابه بل رجح الأزهري أن المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله هو ما كان من أمر الساعة والبعث والنشور واستدل بقوله تعالى ﴿ **فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾ أي أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم فأعلم الله أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله عز وجل ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله** ﴾ [٢].

وإليك أيها القاريء الكريم أمثلة من عقيدة الإمام الأزهري في توحيد الأسماء والصفات :

---

(١) انظر مختصر الصواعق ١/٨٢ وهذه التسمية استفادها ابن القيم من شيخه ابن تيمية انظر مجموع الفتاوى ٥/٣٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٦/٩١ ، ١٥/٤٥٩ .

[١] إيمانه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق فهو يقول : [والقرآن كلام الله وكلم الله وكلمات الله وكلمة الله وهو كيفما تصرف متلوا ومحفوظا ومكتوبا غير مخلوق .... ، وقال أحمد بن يحيى في قول الله ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [١] لو جاءت كلم الله موسى مجردا لاحتمل ما قلنا وما قالوا - يعني المعتزلة - فلما جاءت تكليما خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام وخرج الاحتمال للشيئين والعرب تقول إذا وكد الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغوا والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك][٢].

[٢] إيمانه بالنظر إلى الله في الجنة حيث يقول : [وقال المفسرون في قول الله عز وجل ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [٣] النظر إلى الله جل وعز ﴾[٤].

ويقول : [وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له : أنرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : أتضارون في رؤية الشمس في غير سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فإنكم لا تضارون في رؤيته تبارك وتعالى . قلت : روى هذا الحديث بالتشديد من الضرّ ، وروي تضارون بالتخفيف من الضير والمعنى واحد

---

(١) النساء ١٦٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٦٥/١٠ .

(٣) يس ٢٦ .

(٤) تهذيب ٣١٥/٤ .

يقال ضارّه ضراراً وضره ضراً وضاره ضيراً والمعنى لا يضار بعضكم بعضا في رؤيته أي لا يخالف بعضكم بعضاً فيكذبه يقال ضاررته ضرراً ومضارة إذا خالفته وقال الجعبري :

وخصمي ضرار ذوي تدرإ

متى بات سلمها يشغب

ويروى لا تضامون في رؤيته أي لا ينضم بعضكم إلى بعض فيزاحمه ، ويقول له أرنيه كما يفعلون عند النظر إلى الهلال ولكن ينفرد وكل واحد منكم برؤيته وروي من وجه آخر لا تضامون بالتخفيف ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته أي ترونه حتى تستووا في الرؤية فلا يضيم بعضكم بعضا ومعنى هذه الألفاظ وإن اختلفت متقاربة ، وكل ما روي فيه صحيح ولا يدفع لفظ منها لفظاً وهو من صحاح أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وغررها ولا ينكرها إلا مبتدع صاحب هوى [١] .

ويقول الأزهري : [ومن قال إن معنى قوله إلى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ..... فإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلا بالعين][٢] .

---

(١) تهذيب ١١/٤٥٨ .

(٢) تهذيب ١٤/٣٧١ .

وقال الأزهري : [وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ [١]، أعلم الله جل وعز أنه يدرك الأبصار .... فأعلم أن خلقا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنههم ولا يحيطون بعلمه فكيف به جل وعز ، فالأبصار لا تحيط به وهو اللطيف الخبير فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فغير مدفوع وليس في هذه الآية دليل على دفعها لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته وهذا مذهب أهل السنة والعلم بالحديث[٢]].

[٣] إيمانه بصفة العلو لله ، يقول الأزهري : [وقال الليث : الله تبارك وتعالى هو العلي المتعالي الأعلى ذو العلاء والعلا والمعالي تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهو الأعلى سبحانه بمعنى العالي قال : وتفسير تعالى جل عن كل ثناء فهو أعظم وأجل وأعلى مما يثني عليه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قلت : وتفسير هذه الصفات لله يقرب بعضها من بعض فالعلي الشريف فعيل من علا يعلو وهو بمعنى العالي وهو الذي ليس فوقه شيء ويقال هو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته وأما المتعالي فهو الذي جل عن إفك المفترين وتنزه عن وساوس المتحيرين وقد يكون المتعالي بمعنى

---

(١) الأنعام ١٠٣ .

(٢) تهذيب ١٧٨/١٢ .

العالي والأعلى هو الله الذي هو أعلى من كل عال واسمه الأعلى أي صفته أعلى الصفات والعلا الشرف وذو العلاء صاحب الصفات العلا والعلا جمع العليا أي جمع الصفة العليا والكلمة العليا ويكون العلا جمع الاسم الأعلى وصفة الله العليا شهادة أن لا إله الله فهذه أعلى الصفات ولا يوصف بها غير الله وحده لا شريك له ولم يزل الله عليا عاليا متعاليا تعالى الله عن إلحاد الملحدين وهو العلي العظيم] [(١)] .

فقول الأزهري وهو الذي ليس فوقه شيء يدل على علو الذات وقوله وهو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته يدل على علو القهر وقوله وصفته أعلى الصفات يدل على علو الرتبة فهو رحمه الله يؤمن بأنواع العلو الثلاثة ومما يؤكد إيمانه بصفة علو الذات قوله : قال الله عز وجل ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾ أي تصعد يقال عرج يعرج عروجا وقوله جل وعز ﴿ **من الله ذي المعارج** ﴾ قال قتادة : ذي المعارج أي الفواضل والنعم وقيل معارج الملائكة وهو مصاعدها التي تصعد فيها وتعرج فيها ذكر ذلك أبو إسحاق. وقال الفراء : ذي المعارج من نعت الله لأن الملائكة تعرج إلى الله فوصف نفسه بذلك][(٢)] .

---

(١) تهذيب ١٨٦/٣ .

(٢) تهذيب ٣٥٥/١ .

وقد ذكر الذهبي أن شيخ الإسلام الهروي قد نقل في كتاب الفاروق عن الأزهري إمام اللغة بأنه قال : الله تعالى على العرش ويجوز أن يقال في المجاز هو في السماء لقوله ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض] [١] .

قلت : لم أجد هذا الكلام في مظانه في تهذيب اللغة وشيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي توفي عام ٤٨١هـ عن أربع وثمانين سنة [٢]، فهو لم يأخذ من الأزهري مباشرة فإما أن يكون أخذ الكلام عن أحد تلامذته أو أخذه من بعض كتبه والنص يدل على أن الأزهري يثبت العلو لله فالعرش على السماء والله على العرش والسماء هي السقف كما نقل الأزهري عن أبي عبيدة أنه قال : والسماء سقف كل شيء وكل بيت ونقل عن الزجاج أنه قال : كل ما ارتفع وعلا فقد سما يسمو وكل سقف فهو سماء [٣]، وقول الأزهري : ويجوز أن يقال في المجاز هو في السماء لأن في للظرفية والله لا تحويه السماء وإنما هو على السماء ولكن هذا مما يجوز في اللغة كما في قوله تعالى ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ [٤]، أي على جذوع النخل قال

---

(١) العلو للذهبي ١٦٧ .

(٢) انظر ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٤٠ .

(٣) تهذيب ١١٥/١٣ .

(٤) طه ٧١ .

ابن هشام : [في حرف جر له عشرة معـان ..... ، الرابـع الاسـتعلاء نحـو ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [١] أي على جذوع النخل .

[٤] إيمانـه بوجـه الله وعظمتـه ونـوره حيـث يقـول : [وفي الحديـث أن جبريل قال : لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا مـن أحدهـا لأحرقتنـا سبحات وجه ربنا " قيل يعني بالسبحات جلاله وعظمته ونوره ، وقال ابـن شميل : سبحات وجهه نـور وجهـه] [٢]، وقـال الأزهـري : [والنـور مـن صفات الله عز وجل قال الله تعـالى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ [٣]، قيل في تفسيره : الله هادي أهل السموات وأهـل الأرض ، وقيـل : أنارهـا بحكمة بالغة ، وقال ابن عرفة : أي منور السماوات والأرض كمـا يقولـون : فلان غياثا أي مغيثنا[٤].

[٥] إيمانه بعلم الله المحيط الشامل قال : [ومن صفـات الله العليـم والعـالم والعلام قال الله عز وجل ﴿ وهو الخلاق العليم ﴾ [٥] وقال ﴿ عالم الغيب

---

(١) مغني اللبيب لابن هشام ١٦٨/١ .

(٢) تهذيب ٣٣٩/٤ .

(٣) النور ٣٥ .

(٤) تهذيب ٢٣٥/١٥ .

(٥) يس ٨١ .

والشهادة ﴾ (١) وقال في موضع آخر ﴿ **علام الغيوب** ﴾ (٢) فهو الله العالم بما كان وما يكون كونه وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون و لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء] (٣) .

[٦] إيمانه بصفة الحكمة لله حيث يقول : [ومن صفات الله الحكم والحكيم والحاكم وهو أحكم الحاكمين ومعاني هذه الأسماء متقاربة والله أعلم بما أراد بها وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه والحكيم يجوز أن يكون بمعنى حاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم] (٤).

ونقل الأزهري قول الزجاج مؤيداً له في معنى قوله تعالى ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ (٥)، ومعنى كراهتهم القتال أنهم كرهوه على جنس غلظه عليهم ومشقته لا أن المؤمنين يكرهون فرض الله لأن الله لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح] (٦).

---

(١) الأنعام ٧٣ .

(٢) المائدة ١٠٩ .

(٣) تهذيب اللغة ٤١٧/٢ .

(٤) تهذيب ١١١/٤ .

(٥) البقرة ٢١٦ .

(٦) تهذيب ١٣/٦ .

[٧] إثبات العينين لله حيث قال : [وفي حديث الدجال فإما هلك الهلك فإن ربكم ليس بأعور ، ورواه بعضهم أما هلكت هلك ، وقال شمر : قال الفراء : العرب تقول افعل كذا أما هلكت هلك هلُكُ ياهذا ، وهلُكُ ياهذا بإجراء وغير إجراء ، وبعضهم يضيفه إما هلكت هلكه أي على ما خيلت أي على كل حال ونحوه .

وقال غيره في تفسير الحديث : إن شبه عليكم بكل معنى وعلى كل حال فلا يشبهن عليكم إن ربكم ليس بأعور وروى بعضهم حديث الدجال ولكن الهلك كل الهلك إن ربكم ليس بأعور وفي رواية فإما هلكت هلك فإن ربكم ليس بأعور . الهلك الهلاك ، قال ابن الأنباري : من رواه كذلك فمعناه لكن هلك الدجال وخزيه وبيان كذبه في عوره قال : ومن رواه فإن هلكت هلك : أراد ما اشتبه عليكم من أمره فلا يشتبهن عليكم إن ربكم ليس بأعور] [١]، والأعور هو الذي لا يبصر إلا بعين واحدة فإذا نفى العور عن الله سبحانه دل على أن له عينين تليق بجلاله لا تشبه أعين المخلوقين والأزهري في ذكره لهذه الصفة وإقراره بها وعدم إنكارها أو تأويلها يدل على أنه من المثبتين وأنه على منهج أهل السنة والجماعة الذين يثبتون لله عينين كالبخاري رحمه اله الذي أورد هذا الحديث بلفظ آخر عن عبد الله [قال : ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "

---

(١) تهذيب ١٧/٦ .

إن ا لله لا يخفى عليكم إن ا لله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية " ، قال شارح كتاب التوحيد للبخاري الشيخ الغنيمان : [هذا الحديث من الأدلة الواضحة على إثبات تثنية العين لله تعالى ويزيد ذلك وضوحاً إشارته صلى ا لله عليه وسلم إلى عينه لتحقيق الوصف يعني أن لله عينين سالمتين من كل عيب كاملتين بخلاف الدجال الفاقد لإحدى عينيه وذلك من أعظم الأدلة على كذبه] (١).

[٨] إثبات صفة القدمين لله على ما يليق بجلاله وصفة النزول حيث ذكر رواية ابن عباس عن الكرسي بأنه موضع القدمين وصحح هذه الرواية وأنكر ما خالفها (٢) وذكر حديث إن جهنم لا تمتليء(٣)، حتى يضع ا لله فيها قدمه ثم روى كلام أبي عبيد في هذا الحديث وما شابهه فقال أخبرني محمد بن إسحاق السعدي عن العباس الدوري أنه سأل أبا عبيد عن تفسيره [أي القدم المذكورة في الحديث] وتفسير غيره من حديث النزول والرؤية فقال : هذه أحاديث رواها لنا الثقات عن الثقات حتى رفعوها إلى النبي عليه السلام وما رأينا أحدا يفسرها فنحن نؤمن بها على ما جاءت ولا

---

(١) شرح كتاب التوحيد ١/٢٨٥ .

(٢) تهذيب ١٠/٥٤ .

(٣) في المطبوع تمتليء ولا يصح النص إلا بزيادة " لا " وفي نسخة (ج) من التهذيب لا تسكن .

نفسرها . أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت [١]، وقول الأزهري أراد أنها تترك على ظاهرها ـ يدل على أن التفسير الذي توقف فيه أبو عبيد هو الخوض فيها بما يخالف ظاهرها وأما إثبات المعنى الذي يظهر من اللفظ فلا يتوقف فيه أهل السنة والجماعة ومنهم الأزهري فهو يذكر أسماء الله وصفاته ويفسر معانيها بالمعاني التي يفهمها العرب من لغتهم فها هو يقول : [وأما قول الله جل وعز ﴿ ومهيمنا عليه ﴾ [٢]، وقوله ﴿ المؤمن المهيمن﴾ [٣]، فإن المفسرين قال بعضهم في قوله ﴿ومهيمنا عليه ﴾ معناه : وشاهدا عليه، وقال بعضهم : رقيبا عليه ، وقال بعضهم : ومؤتمنا عليه ، وقال بعضهم : المهيمن اسم من أسماء الله في الكتب القديمة ، وقال المبرد : مهيمن معناه مؤيمن إلا أن الها مبدلة من الهمزة والأصل مؤيمنا عليه كما قالوا : [هياك وإياك] وهرقت الماء وأصله أرقت الماء ، قلت : ـ القائل هو الأزهري ـ وهذا على قياس العربية صحيح إن شاء الله تعالى مع ما جاء في التفسير أنه بمعنى الأمين وقيل بمعنى مؤتمن] [٤].

---

(١) تهذيب ٩/٤٥ .

(٢) المائدة ٤٨ .

(٣) الحشر ٢٣ .

(٤) تهذيب ٦/٣٣٢ .

وقال : [الشكور من أسماء الله جل وعز معناه أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم به الجزاء قال ذلك أبو إسحاق الزجاج][١] .

وقال : [وقال الله عز وجل ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[٢]، القراءة بالرفع المتين صفة لقوله ذو القوة وهو الله ومعنى ذو القوة المتين ذو الاقتدار الشديد والمتين في صفة الله تعالى القوي][٣]، ومثل هذا كثير وسيأتي ما يدل على أن الأزهري يفسر صفات الله وأسمائه وأن قول أبي عبيد أنه لا يفسر أي لا يخوض في معانيها بما يخالف ظاهرها ولا يكيفها بصفات المخلوقين ولا يؤولها وهذا أمر واضح بين والحمد لله .

[٩] إيمانه بأن الله يأتي يوم القيامة من غير تكييف كما قال الأزهري : [فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته وكذلك سائر صفات الله جل وعز][٤]، فلم يقل الأزهري أتى أمر الله أو ملائكته أو نحو ذلك من تأويل أهل البدع .

[١٠] إثبات صفة العجب لله على ما يليق جلاله حيث قال : [قال الله عز وجل ﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾[٥]، بضم التاء وهكذا قرأ علي وابن

---

(١) تهذيب ١٠/١٦ .

(٢) الذاريات ٥٨ .

(٣) تهذيب ٣٠٧/٤ .

(٤) تهذيب ٢٤٦/٣ .

(٥) الصافات ١٢ .

عباس ، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو ﴿ **بل عجبتَ**﴾ بنصب التاء ، وقال الفراء : والعجب وإن أسند إلى الله تعالى فليس معناه من الله كمعناه من العباد ألا ترى أنه قيل ﴿ **فيسخرون منهم سخر الله منهم** ﴾ [١]، وليس السخريُّ من الله كمعناه من العباد ، وقال الزجاج : أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال قد عجبت من كذا وعلى هذا معنى قراءة من قرأ ﴿ بل عجبتُ ﴾ لأن الآدمي إذا فعل ما ينكره الله جاز أن يقول فيه عجبت والله قد علم ما أنكره قبل كونه ولكن الإنكار والعجب الذي تلزم به الحجة عند وقوع الشيء] [٢]، وهذا يدل على أن الأزهري يثبت صفة العجب لله حيث نقل قول الفراء والزجاج مؤيدا له غير أن العجب المثبت لله لا يشبه عجب المخلوقين كما أن بقية صفاته سبحانه لا تشبه صفات المخلوقين وقد جاء العجب في صفة الله في عدد من الأحاديث منها : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل".

وقوله : " قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " [٣].

---

(١) التوبة ٧٩ .

(٢) تهذيب ١/٣٨٦ .

(٣) الحديثان في البخاري برقم ٤٨٨٩ ورقم ٣٠١٠ .

[١١] إثبات جملة من الأسماء الحسنى لله سبحانه من غير تحريف لمعانيها وهذه أمثلة لبعض ما ذكر إضافة إلى ما سبق ذكره عنه في ثنايا البحث ، فهو يقول : [ومن صفات الله جل وعز : الظاهر والباطن ، تأويلها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمجيد الرب " اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء] (١) .

وقال : [وجاء في خبر مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد حسن في تفسير الأول في صفة الله عز وجل إنه الأول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء ولا يجوز أن نعدوا هذا التفسير] (٢) .

ويقول : [الصمد من أسماء الله جل وعز ، وروي عن الأعمش عن أبي وائل أنه قال : الصمد السيد الذي قد انتهى سؤدده ، قلت : أما الله تبارك وتعالى فلا نهاية لسؤدده لأن سؤدده غير محدود ، وقال أبو عبد الرحمن السلمي : الصمد الذي يصمد إليه الأمر فلا يقضي دونه وهو من الرجال الذي ليس فوقه أحد ، وقال الحسن : الصمد الدائم ، وقال ميسرة : المصمت المصمد والمصمت الذي لا جوف له ونحو ذلك ، قال الشعبي : وقال أبو إسحاق : الصمد الذي ينتهي إليه السؤدد وأنشد :

لقد بكر الناعي بخير بني أسد

بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

---

(١) تهذيب ١٣/٣٧٤ .

(٢) تهذيب ١٥/٤٥٧ .

وقيل : الصمد الذي صمد إليه كل شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء وكلها دال على وحدانيته وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وهذه الصفات كلها يجوز أن تكون لله جل وعز] [١] .

وقال : [اللطيف : اسم من أسماء الله العظيم ومعناه والله أعلم الرفيق بعباده] [٢] .

وقال : [وقال الأنباري : الودود من أسماء الله تعالى جل وعز ، المحب العبادة ، من قولك : وددت الرجل أوده ودا ووددا] [٣].

وقال : [والبر من صفات الله العطوف الرحيم اللطيف الكريم] [٤].

وقال : [والمؤمن من أسماء الله تعالى الذي وحد نفسه بقوله ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [٥] ، وبقوله ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [٦] ، وقيل المؤمن في صفة الله الذي آمن الخلق من ظلمه . وقيل المؤمن الذي آمن أولياءه عذابه. قال ابن الأعرابي : وقيل المؤمن الذي يصدق عباده ما وعدهم وكل هذه الصفات لله تعالى لأنه صدق بقوله ما دعا إليه عباده من توحيد ولأنه آمن

---

(١) تهذيب ١٢/١٥٠ .

(٢) تهذيب ١٣/٣٤٧ .

(٣) تهذيب ١٤/٢٣٦ .

(٤) تهذيب ١٥/١٨٦ .

(٥) البقرة ١٦٣ .

(٦) آل عمران ١٨ .

الخلق من ظلمه وما وعدنا من البعث والجنة لمن آمن به والنار لمن كفر به فإنه مصدق وعده لا شريك له] [١] .

وقال : [والواسع من صفات الله تعالى الذي وسع رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء ..... وقال ابن الأنباري : الواسع من أسماء الله الكثير العطايا الذي يسع لما يسأل وهذا قول أبي عبيدة ، ويقال الواسع المحيط بكل شيء من قولهم وسع كل شيء علما أي أحاط] [٢] .

وقال : [والحميد من صفات الله بمعنى المحمود] [٣] .

وقال : [والجبار الله تبارك وتعالى القاهر خلقه على ما أراد ، وقال ابن الأنباري : الجبار في صفة الله الذي لا ينال ومنه قيل للنخلة إذا فاتت يد المتناول جبارة] [٤].

وقال : [والسميع من صفات الله وأسمائه وهو الذي وسع سمعه كل شيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " قال الله تبارك وتعالى ﴿ قد سمع

---

(١) تهذيب ١٥/٥١٥ .

(٢) تهذيب ٣/٩٥ .

(٣) تهذيب ٤/٤٣٦ .

(٤) تهذيب ١١/٥٨ .

الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ (١)، وقال في موضع آخر ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ﴾ (٢).

قلت ـ القائل هو الأزهري ـــ : والعجيب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع فراراً من وصف الله بأن له سمعا وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه فهو سميع ذو سمع] (٣).

وقال : [والحفيظ من صفات اله جل وعز لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير وشر وقد حفظ السموات والأرض بقدرته ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم] (٤).

وقال عن صفة المتكبر : [وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة لأن الله جل وعز هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر وليس لأحد أن يتكبر لأن الناس في الحقوق سواء فليس لأحد ما ليس لغيره فالله المتكبر جل وعز] (٥) .

---

(١) المجادلة ١ .

(٢) الزخرف ٨٠ .

(٣) تهذيب ١٢٣/٢ .

(٤) تهذيب ٤٥٨/٤ .

(٥) تهذيب ٢١٠/١٠ .

وقال : [وقال الله عز وجل ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون﴾[١] ، قال غير واحد من أهل العلم بالتأويل : المكر من الله جزاء سمي باسم مكر المجازى كما قال ﴿ وجزاء سيئة سيئة﴾[٢]، فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ولكنها سميت سيئة للجزاء [٣]، وكذلك قوله جل وعز ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾[٤]، فالأول ظلم والثاني ليس بظلم ولكنه سمي باسم الذنب ليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به ويجري مجرى هذا القول قول الله جل وعز ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم﴾[٥]، و ﴿ الله يستهزيء بهم ﴾[٦]، من هذا الضرب [٧] .

هذه بعض الأسماء والصفات التي ذكرها الأزهري وهي توضح عقيدته في توحيد الأسماء والصفات وقد ظهر لنا منها أنه سائر على منهج أهل السنة والجماعة وأنه بريء من مناهج أهل البدع في هذا الباب .

---

(١) النمل ٥٠ .

(٢) الشورى ٤٠ .

(٣) في بعض نسخ التهذيب لازدواج الكلام .

(٤) البقرة ١٩٤ .

(٥) النساء ١٤٢ .

(٦) البقرة ١٥ .

(٧) تهذيب ٢٤١/١٠ .

وأما عقيدة الأزهري في توحيد الربوبية فيوضحها ما يلي:

يقول الأزهري في تفسيره لمعنى الرب : [الرب هو الله تبارك وتعالى هو رب كل شيء أي مالكه وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له ويقال فلان رب هذا الشيء أي ملكه له ولا يقال الرب بالألف واللام لغير الله. وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك وكل من ملك شيئا فهو ربه ﴿ اذكرني عند ربك﴾ [١]، أي عند مليكك .... وعن ابن عباس : الرب ينقسم على ثلاثة أقسام يكون الرب المالك ويكون الرب السيد المطاع قال الله تعالى ﴿ فيسقي ربه خمرا ﴾ [٢]، أي سيده ويكون الرب المصلح رب الشيء أي أصلحه .... ويقال رب مشدد ورب مخفف ، وأنشد المفضل :

وقد علم الأقوام أن ليس فوقه

رب غيره يعطي الحظوظ ويرزق [٣]

وقال الأزهري : [قال ابن الأنباري في قولهم حسبنا الله ونعم الوكيل يقول : كافينا الله ونعم الكافي كقولك رازقنا الله ونعم الرازق ، وقال

---

(١) يوسف ٤٢ .

(٢) يوسف ٤١ .

(٣) تهذيب ١٥/١٧٦ .

الفراء في قول الله ﴿ ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾[1] قال : يقال ربا ويقال كافيا ، قال ابن الأنباري : وقيل الوكيل الحفيظ ، وقيل الوكيل الكفيل فنعم الكفيل الله بأرزاقنا ، وقال أبو إسحاق : الوكيل في صفة الله جل وعز الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق] [2] .

وقال الأزهري في تفسير دعاء الاستفتاح : أنت ربي أي مالكي ومالك أمري لا مالك لي غيرك [3] .

ومما تقدم يتبين أن عقيدة الأزهري في توحيد الربوبية جارية على سنن عقيدته في توحيد الأسماء والصفات من الاعتماد على الكتاب والسنة وتفسير السلف الصالح لهما لا سيما وتوحيد الربوبية لا يكاد يجد الباحث خلافاً في أصله بين الفرق بل إن الكافرين يؤمنون بكثير من مسائله كما قال الله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ [4]، وكما قال ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء

---

(١) الإسراء ٢ .

(٢) الإسراء ٢ .

(٣) تهذيب ٣٧١/١٠ .

(٤) الزاهر ص٨٨ .

فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴾ [1]، وإنما يقع الخلاف في مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية منها :

١. أن أهل الكلام يدعون إن الاستدلال على التوحيد بالحجج العقلية المرتبة على الجواهر والأعراض والأزهري لم يتكلم عن الجواهر والأعراض كما يفعله أهل الكلام فلم أر لها ذكرا في كتبه وإنما صرح أن دلائل التوحيد قد بينها القرآن الكريم فقال : [وأما قول الله جل وعز ﴿ الم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [2]، فإن التفسير جاء أنه أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام ثم فصلت ، بالوعد والوعيد والمعنى والله أعلم أن آياته أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على توحيد الله وتثبيت نبوة الأنبياء وشرائع الإسلام والدليل على ذلك قول الله جل وعز ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ الأنعام ٨٣) [3] .

فقول الأزهري هذا واضح بأن دلائل التوحيد قد فصلها القرآن بخلاف الذين يرون أن الدلائل النقلية ظنية لا تفيد اليقين ولا يستدل بها على

---

(١) العنكبوت ٦٣ .

(٢) هود ١ .

(٣)تهذيب اللغة ١١٢/٤ .

التوحيد ويرى الأزهري أن الاستدلال على توحيد الخالق إنما يكون بمشاهدة عظيم خلقه الذي لا يقدر عليه غيره وهذا الاستدلال قد جاء به القرآن الكريم فهو يذكر قول أبي عبيدة في قول الله تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ [١] معنى شهد الله قضى الله أنه لا إله إلا الله ، قال : وحقيقته علم الله وبين الله لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه فالله قد دل على توحيده بجميع ما خلق فبين أنه لا يقدر أحد أن ينشيء شيئا واحدا مما أنشأ وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته وشهد أولوا العلم بما ثبت عندهم من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره [٢].

٢. ومنها أن بعض الفرق المبتدعة تنكر علم الله بأفعال العباد التي لم تقع وتنكر تقدير الله لها ومشيئتها وكتابتها وبعضها تزعم أن الله أجبر العبيد على المعاصي وأنهم لا قدرة لهم ولا اختيار [٣].

ولكن الأزهري يرد هذه الإنحرافات ويوافق عقيدة أهل السنة والجماعة فيقول : [قال الليث : القدر القضاء الموفق ، يقال قدّر الله هذا تقديرا قال : وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاء قدره ، والقدرية قوم ينسبون إلى

---

(١) آل عمران ١٨ .

(٢) تهذيب اللغة ٧٣/٦ .

(٣) هؤلاء هم القدرية والجبرية ، انظر عنهم التنبيه وللرد للملطي ١٦٥ ، وانظر عنهم المجلد الثامن من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .

التكذيب بما قدر ا لله من الأشياء ، وقال بعض المتكلمين : لا يلزمنا هذا النبز لأننا ننفي القدر عن ا لله ومن أثبته فهو أولى به ، وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون أن القدر لأنفسهم ولذلك سموا القدرية وقول أهل السنة إن علم ا لله قد سبق في البشر وغيرهم ، فعلم كفر من كفر منهم ، كما علم إيمان من آمن منهم ، فأثبت علمه السابق في الخلق وكتبه وكل ميسر لما خلق له وكتب] [١] .

وقال : [والقدير والقادر من صفات ا لله جل وعز يكون في القدرة ويكونان في التقدير وقوله جل وعز ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ في القدرة لا غير .... ا لله مقدر ما هو كائن وقاضيه وفي الحديث إن ا لله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام] [٢] ، وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [٣] قلت : والأصل في هذا كله أن ا لله تبارك وتعالى لما خلق آدم علم قبل خلقه ذريته أنه يأمرهم بتوحيده وطاعته وينهاهم عن معصيته وعلم المطيع منهم من العاصين ، والظالم لنفسه من الناظر لها فكتب ما علمه منهم أجمعين وقضى بسعادة من علم مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فصار لكل من

---

(١) تهذيب ١٩/٩ .

(٢) المصدر السابق ٢١/١٩ .

(٣) الإسراء ١٣ .

علمه ما هو صائر إليه عند إنشائه فذلك قوله تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ أي ماطار له بدءا في علم الله من الشر والخير وعلم الشهادة عند كونهم يوافق علم الغيب والحجة تلزمهم بالذي يعملون وهو غير مخالف لما علمه الله منهم قبل كونهم](١).

وقال : [وتقدير الله الخلق تيسيره كلا منهم لما علم أنهم صائرون إليه من سعادة وشقاوة كتبت لهم وذلك أنه علم ذلك منهم قبل خلقه إياهم وحين أمر بنفخ الروح فيهم فكتب علمه الأزلي السابق فيهم وقدره تقديرا](٢).

وقال : [وأخبرني الإيادي عن أبي الهيثم أنه قال : جبرت فاقة الرجل أجبرها إذا أغنيته قال : والجبرية الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أي أكرههم ومعاذ الله أن يكرههم على معصية ولكنه قد علم ما العباد عاملون وما هم إليه صائرون .

قلت : وهذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر إنما هو علم الله السابق في خلقه وقد كتبه عليهم فهم صائرون إلى ما علمه وكل ميسر لما خلق له] (٣).

---

(١) تهذيب ١٤/١٢ .

(٢) المصدر السابق ١٩/٢٤ .

(٣) المصدر السابق ١١/٥٩ .

وقال أيضا : [وقال جل وعز ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾[(١)] ، وقال ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [(٢)] وفي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يبعث الملك إلى كل من اشتملت عليه رحم أمه فيقول له : اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فيختم له على ذلك " ، وقال مجاهد قوله ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ قال : المطر، وقال في قوله ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ يقول : بل أنا أرزقهم وما خلقتهم إلا ليعبدون ، يقول ما خلقتهم إلا لآمرهم بعبادتي] [(٣)] .

ويقول : [وعلى العبد أن يعبد خالقه على حالة السراء والضراء ومن عبد الله على السراء وحدها دون أن يعبده على الضراء يبتليه الله بها فقد عبده على حرف ومن عبده كيفما تصرفت به الحال فقد عبده عبادة مقر بأن له خالقا يصرفه كيف شاء وأنه وإن امتحنه باللأواء وأنعم عليه بالسراء فهو

---

(١) الذاريات ٢٢ .

(٢) الذاريات ٥٧ .

(٣) السابق ٨/٤٣٠ .

في ذلك عادل أو متفضل غير ظالم ولا متعد له الخيره وبيده له ، الخير بيده الأمر ولا خيرة للعبد عليه] [١] .

وقال : [ويقال طبع الله على قلب الكافر ـ نعوذ با لله منه ـ أي ختم عليه فلا يعي وعظا ولا يوفق لخير] [٢] .

وقال في مقدمة كتابه الزاهر : [الحمد لله الهادي لمن يشاء بفضله المضل لمن شاء بعدله الموضح لنا سبيل الرشاد الموفقنا للسداد] [٣] .

وقال : [وقوله جل وعز ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ [٤]، قال : قال الزجاج : هو كما قال جل وعز ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾ [٥] .

قلت : والإضلال في كلام العرب ضد الهداية والرشاد يقال أضللت فلانا إذا وجهته للضلال عن الطريق وإياه أراد لبيد :

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

---

(١) المصدر السابق ٥/١٣ .

(٢) السابق ٢/١٨٦ .

(٣) الزاهر ص٣٣ .

(٤) النحل ٣٧ .

(٥) الأعراف ١٨٦ .

وقال لبيد : هذا في جاهليته فوافق التنزيل ﴿ يضل من يشاء ﴾ [١] .

وهذه النقول العظيمة عن الأزهري تدل على أنه على منهج أهل السنة والجماعة في باب قضاء الله وقدره وأنه يخالف أهل البدع من القدرية والجبرية وأنه يقول بعلم الله السابق واللاحق وبكتابة المقادير قبل خلق الأشياء وبمشيئتها وإرادتها وأن الله خالق كل شيء وأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأن إضلاله لمن يشاء إنما هو بعدله ولا يقول كما يقول أهل البدع الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون في قوله تعالى ﴿ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [٢]، أي ينسبهم إلى الضلال وينسبهم إلى الهداية ويجعلون الإرادة في قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ [٣] ، للعبد لا لله [٤]، ومما يزيد هذا الأمر وضوحا عند الأزهري ما حكاه في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : " الخير في يديك ، والشر ليس إليك حيث قال : حكى إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل قال : سألت الخليل بن أحمد عن قولهم في الدعاء الخير في يديك والشر ليس إليك قال :

---

(١) تهذيب ١١/٤٦٤ .

(٢) النحل ٩٣ .

(٣) الأنعام ١٤٥ .

(٤) انظر هذه التحريفات والرد عليها في كتاب الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٢٢٦ ، **وما بعدها**.

وكان مثبتا يعني للقدر فقال لي : معناه لا يتقرب بالشر إليك] [١]، وهذا الذي ذكره الأزهري مؤيدا له هو ما حكاه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني عن أهل السنة والجماعة بأنهم لا ينسبون الشر إلى الله من باب الذكر والثناء عليه به والتقرب بهذا الذكر والثناء وإن كان هو سبحانه خالق الخير والشر حيث يقول [ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه لا يضاف إلى الله ما يتوهم منه نقص على الإنفراد فلا يقال ياخالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه وفي ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح : " تباركت وتعاليت والخير في يديك والشر ليس إليك " ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك إفرادا وقصدا حتى يقال لك في المناداه ياخالق الشر أو يامقدر الشر وإن كان الخالق والمقدر لهما جميعا ولذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه فقال فيما أخبر الله تعالة عنه في قوله ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها ﴾ [٢]، ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله عز وجل فقال ﴿ فأراد ربك أن يبلغا

---

(١) الزاهر ٩٠ .

(٢) الكهف ٨ .

أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ [١]، ولذلك قال مخبرا عن إبراهيم عليه السلام أنه قال ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ [٢]، فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه وإن كان الجميع منه جل جلاله] [٣] .

وأما عقيدة الأزهري في توحيد الألوهية :

فهي أيضا مأخوذة من الكتاب والسنة ، وهذا النوع من التوحيد هو أعظم أنواع التوحيد بل هو شامل للنوعين السابقين كما تقدم وهو زبدة الرسالات الإلهية لأن الخصومة بين الرسل وأممهم أكثرها وقعت فيه وكل رسول يدعو قومه إلى تحقيقه وترك ما ينافيه كما قال سبحانه ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [٤] .

والأزهري يقرر أن الإلهية هي أعظم صفة لله فهو يقول : [وصفة الله العليا شهادة أن لا إله إلا الله فهذه أعلى الصفات ولا يوصف بها غير الله وحده لا شريك له] [٥] .

---

(١) الكهف ٧٩ .

(٢) الشعراء ٨٢ .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٧٩ .

(٤) النحل ٣٦ .

(٥) ١٩٦/٣٢ تهذيب .

ونقل عن الليث أنه قال : بلغنا أن اسـم ا لله الأكـبر هـو ا لله لا إلـه إلا ا لله وحده] [(١)] .

وما رجحه الأزهـري مـن أن أعلـى الصفـات هـي صفـة الإلهيـة يشـهد لـه حديثان عن المصطفى صلى ا لله عليه وسلم :

أحدهما : حديث بريـدة رضـي ا لله عنـه أن رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسلم سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنـت ا لله لا إلـه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد فقال :" والذي نفسي بيده لقد سأل ا لله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي"][(٢)] .

والثاني : حديث أنس رضي ا لله عنه قال : كنت جالسـا مـع النبي صلـى ا لله عليه وسلم في المسجد ورجل يصلي فقال : اللهم إني أسألك بأن لـك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السـموات والأرض يـاذا الجلال والإكـرام ياحي ياقيوم فقال النبي صلى ا لله عليه وسـلم : " دعـا ا لله باسمـه الأعظـم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطـى " [(٣)]، قلـت : والصفـة الـتي تكررت في الحديثين هي لا إله إلا أنت فقط ، فدل علـى أن صفـة الإلهيـة هي الصفة العليا وهي اسم ا لله الأعظـم " ا لله " فـا لله والإلـه بمعنـى واحـد

---

(١) تهذيب ٤٢١/٦ .

(٢) الحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود ٢٧٩/١ .

(٣) الحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود ٢٧٩/١ .

لأن أصل كلمة إله ولاه وهو الذي يفزع الخلق إليه ويعبدونه وأصل كلمة الله إله كما سيأتي ، ودل على قوة الأزهري في ترجيحاته والله تعالى أعلم.

ويقرر الأزهري بأن الله معبود جميع الخلق لا معبود سواه ولا إله غيره مستدلا بقول الله تعالى ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ [(١)]، وفسر الآية فقال : أي معبود لا نعبد ربا سواه ولا نشرك به شيئا] [(٢)]، .

ونقل عن الليث في تفسير معنى التأله بأنه التعبد مستدلا بقول رؤبة:

سبحن واسترجعن من تألهي

ونقل عن أبي الهيثم قوله : فالله أصله إلاه قال الله جل وعز ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾[(٣)]، ولا يكون إلها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا وعليه مقتدرا فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عبد ظلما بل هو مخلوق ومتعبد وأصل إله ولاه فقلبت الواو همزة كما قالوا : للوشاح إشاح وللوجاج إجاج ، ومعنى ولاه أن الخلق إليه يولهون في حوائجهم ويفزعون إليه فيما يصيبهم

---

(١) الزخرف ٨٤ .

(٢) الزاهر ٩٤ .

(٣) المؤمنون ٩١ .

ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم كما يوله كل طفل إلى أمه ثم عقب على هذين المعنيين بقوله : فهذا تفسير اسم اله واشتقاقه] [١] .

فإذا كان تفسير الألوهية المثبتة لله والمنفية عن غيره عند الأزهري هي التعبد لله واللجوء والفزع إليه ظهر لنا عقيدة الأزهري في توحيد الألوهية وأنها ليست كعقيدة أهل الكلام الذين يفسرونها بالقدرة على الإختراع أو الخلق[٢] بل يفسرها بقصر العبادة على الله كما قال في تفسير دعاء الاستفتاح : [وأنا أعبدك أي لا أعبد غيرك ولا أضمر إلا طاعتك] [٣].

ومن العبادة الخوف والرجاء والتوكل والفرزع واللجوء والخضوع ولا يستحق هذه العبادة إلا من كملت ربوبيته بكونه الخالق الرازق المدبر المقتدر فدل على شمول توحيد الإلهية لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، ويزيد هذا الأمر وضوحا ما نقله الأزهري في معنى العبادة حيث يقول : وقال الزجاج قوله ﴿ وعبد الطاغوت﴾ نسق على ﴿ من لعنه الله ﴾ المعنى من لعنه الله ومن عبد الطاغوت قال : وتأويل عبد الطاغوت أي أطاعه يعني الشيطان فيما سوله وأغواه ، قال : والطاغوت هو الشيطان، وقال في قول الله تعالى ﴿ إياك نعبد ﴾ إياك نطيع الطاعة التي

---

(١) تهذيب ٦/٤٢٣ .

(٢) انظر أصول الدين للبغدادي ١٢٣ .

(٣) الزاهر ص٨٨ .

نخضع معها قال : ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع ، ويقال : طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء ، وبعير معبد إذا كان مطليا بالقطران ... وقال ابن الأنباري : فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم لقضائه المنقاد لأمره وقوله ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ أي أطيعوا ربكم وقيل في قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ إياك نوحد والعابد الموحد ...... وقال الزجاج في قول الله جل وعز ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ الآية المعنى ما خلقتهم إلا لأدعوهم إلى عبادتي وأنا مريد العبادة منهم وقد علم الله قبل أن يخلقهم من يعبده ممن يكذبه ولو كان خلقهم ليجبرهم على عبادته لكانوا كلهم عبادا مؤمنين ، قلت : ـ القائل الأزهري ــ وهذا قول أهل السنة والجماعة] [١].

قلت : فإذا كانت العبادة عند الأزهري هي الخضوع باستسلام وهي طاعة الأوامر وهي مقصورة على الله تبين لنا عقيدته في توحيد الألوهية ولذا فهو يفسر الشرك بأنه الشرك في العبادة وليس الشرك في الخلق والتدبير فيذكر في قول الله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ﴾[٢] وتفسير هذا المثل أنه مضروب [٣]

(١) تهذيب ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٨ .

(٢) الزمر ٢٩ .

لمن وحد ا لله جل وعز ولمن جعل معه شركاء فـالذي وحـد ا لله مثلـه مثـل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره يقال سلم فلان لفلان أي خلص لـه ومثـل الـذي عبـد مـع ا لله غـيره مثـل صـاحب الشـركاء المتشاكسـين والشـركاء المتشاكسون العسرون المختلفون الذين لا يتفقون وأراد بالشركاء الإلهة التي كانوا يعبدونها من دون ا لله] (١).

وينقل عن الليـث أنـه قـال : الإخـلاص التوحيـد لله خالصـاً ولذلـك قيـل لسورة قل هو ا لله أحد سورة الإخلاص وقوله جل وعز ﴿ إنه من عبادنـا المخلصـين ﴾ (٢)، وقـريء المخلصـين فـالمخلصون المختـارون والمخلصـون الموحدون] (٣) .

ونقل عنه والتوحيد الإيمان با لله وحده لا شريك له وا لله الواحد الأحـد ذو الوحدانية والتوحد] (٤) .

وقال الأزهري : [وأما اسـم ا لله جـل ثنـاؤه أحـد فإنـه لا يوصـف شـيء بالأحدية غيره لا يقال رجل أحد ولا درهم أحد كما يقال رجل وحد أي

---

(٣) في النص مصروف لكن الموافق للسياق لفظة مضروب لا سيما وفي نسختين للتهذيب ضرب .

(١) تهذيب ٦/١٠ .

(٢) يوسف ٢٤ .

(٣) تهذيب ١٣٩/٧ .

(٤) تهذيب ١٩٣/٥ .

فـرد لأن أحـدا صفـة مـن صفـات ا لله الـتي اسـتأثر بهـا فـلا يشـركه فيهـا شيء][1] .

وإذا كانت السورة سميت سورة الإخـلاص أي مـن الشـرك لإثباتهـا صفـة الأحدية لله سبحانه دل على أنها شاملة لأنـواع التوحيـد الثلاثـة وأظهرهـا توحيد الألوهية فهو أحـد في إلهيتـه لا يسـتحق العبـادة غـيره وهـو أحـد في ربوبيته وهو أحد في أسمائه فهو أحد في كل كمالاته سبحانه وتعالى وليـس المراد بالسورة إثبات الوحدانية بالذات فقط كما يظنـه بعـض أهـل الكـلام المذموم أو إثبات الوحدانية في الخلق .

وإلا فالأعشى قد قال في جاهليته ـ شعر ـ :

استأثر ا لله بالوفاء وبالحمد ... وولي الملامة الرجلا

وقد أورد الأزهري هذا البيت محتجا به على أن أهـل الجاهليـة يعرفـون ا لله ويعظمونـه ولا يسـبونه بـل ينسـبون إليـه المحـامد والوفـا [2]، مـع إنكـارهم لأحديته في الإلهية حيث حكى ا لله عنهم قولهم ﴿ **اجعل الإلهـة إلهـا واحـدا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ [3]، وكـان يغيظهـم قـول بـلال رضـي ا لله عنـه،

---

(١) تهذيب ١٩٧/٥ .

(٢) تهذيب ١٩١/٦ .

(٣) ص ٥ .

عندما يعذبونه وهو يقول : أحد أحد[1] ، فهـو يـدل علـى أنـه مستمسـك بقول لا يقولونه وهو أحد في إلهيته وأمـا أحـد في خلقـه فـإنهم لا ينكرونـه حيث حكى ا لله عنهم الاعتراف في قوله ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ [2]، ولما قال ا لله لهم ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [3]، ما قالوا إن آلهتنا تخلق لأنهم يعلمون ذلك وكذلـك لما قـال لهم ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[4]، مـا قـالوا إنهـم يفعلون ذلك وإنما يرجون شفاعتها وأنها تقربهم إلى ا لله زلفى حيث حكى ا لله عنهم قولهم ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [5]، يقـول شيخ الإسلام ابن تيمية : [قال ا لله تعالى ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد﴾ فأدخل

---

(١) مسند أحمد ١/٤٤ ، والمستدرك ٢٨٤/٣ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) الزمر ٣٨ .

(٣) النحل ١٧ .

(٤) الزمر ٤٠ .

(٥) الزمر ٣ .

اللام في الصمد و لم يدخلها في أحد لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحدا في الإثبات مفردا غير مضاف إلا ا لله تعالى] (١).

وقال : [والمعنى الصحيح الذي هو نفي المثل والشريك والند قد دل عليه قوله سبحانه أحد وقوله و لم يكن له كفوا أحد] (٢).

قلت : ونفي المماثلة والشراكة عام في كل ما يختص ا لله به ومنه استحقاق ا لله للعبادة كما بينه الأزهري في فهمه لتوحيد الألوهية وهو الفهم الصحيح الذي لم يخالفه إلا أهل الكلام المذموم الذين يفسرون الألوهية ببعض معانيها كما تقدم .

والأزهري يقرر أن الاستعاذة واللجوء ونحوها من الأعمال التي هي من أعظم العبادات لا تكون إلا لله فهو يقول : [وا لله جل وعز معاذ من عاذ وملجأ من لجأ إليه والملاذ مثل المعاذ ويقال عوذت فلانا با لله وأسمائه وبالمعوذتين من القرآن إذ قلت أعيذك بكلمات ا لله وأسمائه من كل شر ... وأما التعاويذ التي تكتب وتعلق على الإنسان من العين فقد نهى عن تعليقها] (٣).

ويقول : [وفي حديث ابن مسعود أن التمائم والرقى والتولة من الشرك " قلت : ـ القائل الأزهري ـ والتمائم واحدتها تميمة وهي خرزات كانت

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣٥/١٧ .

(٢) المصدر السابق ٤٤٩/١٧ .

(٣) تهذيب ١٤٧/٣ .

الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم وهو باطل ...... وجعلها ابن مسعود من الشرك لأنهم جعلوها واقية من المقادير والموت فكأنهم جعلوا لله شريكا فيما قدر وكتب من آجال العباد والأعراض التي تصيبهم ولا دافع لما قضى ولا شريك له عز وجل فيما قدر][١] .

وليس ابن مسعود فحسب هو الذي جعل هذه المذكورات شركاً بل إنه تلقى هذا الحكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] .

وكما أن الأزهري ينكر هذه الأمور الشركية التي تقدح في توحيد الألوهية فإنه ينكر ما شابهها من الشركيات الأخر فهو ينكر الكهانة فيقول : [وفي الحديث من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " أي من صدقهم ، قلت : ـ القائل الأزهري ــ وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث نبينا وحرست السماء بالشهب ومنعت الجن ومردة الشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة بطل علم الكهانة وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرق جل وعز به بين الحق والباطل وأطلع الله نبيه بالوحي على ما شاء من علم

---

(١) تهذيب ١٤/٢٦٠ .

(٢) انظر مسند أحمد ٣٨١/١ ، ومستدرك الحاكم ٢١٧/٤ ، وصحح الحديث ووافقه الذهبي .

الغيوب التي عجزت الكهنة عن الإحاطة به فلا كهانة اليوم بحمد الله ومنه][1].

وأنكر الأزهري التشاؤم والتطير فقال : [وقال الله جل وعز في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم المبعوث إليهم صالح عليه السلام ﴿ **قالوا اطيرنا بك ومن معك قال طائركم عند الله** ﴾[2]، ومعنى قولهم اطيرنا : تشاءمنا وهي في الأصل تطيرنا فأجابهم فقال الله عز وجل ﴿ **طائركم معكم** ﴾ أي شؤمكم معكم وهو كفرهم وقيل للشؤم طائر وطير وطيره لأن العرب كان من شأنها عيافة الطير وزجرها والتطير ببارحها وبنعيق غربانها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها فسموا الشؤم طيرا وطائرا وطيرة لتشاؤمهم بها وبأفعالها فأعلم الله جل ثناؤه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طيرتهم باطلة وقال لا طيرة ولا هامة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير وأصل التفاؤل الكلمة الحسنة يسمعها عليل فتوهمه بسلامته من علته وكذلك المضل يسمع رجلا يقول ياواجد فيجد ضالته ، والطيرة مضادة للفأل على ما جاء في هذا الخبر وكانت العرب مذهبها في

---

(١) تهذيب ٦/٢٤ .

(٢) النحل ٤٧ .

الفأل والطيرة واحد فأثبت النبي صلى ا لله عليه وسلم الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها] [(١)] .

وقال : [وكانت العرب أهل طيرة وكانوا يتطيرون من العطاس فأبطل النبي صلى ا لله عليه وسلم طيرتهم] [(٢)].

وكذلك أنكر الأزهري نسبة المطر إلى الأنواء حيث قال : [وقال الزجاج في بعض أماليه وذكر قول النبي صلى ا لله عليه وسلم : " من قال سقينا بالنجم فقد آمن بالنجم وكفر با لله ومن قال سقانا ا لله فقد آمن با لله وكفر بالنجم ..... قال : وإنما غلظ النبي صلى ا لله عليه وسلم فيها لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي جاء بسقوط نجم هو فعل النجم ولا يجعلونه سقيا من ا لله ..... ، وروي عن علي رضي ا لله عنه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ [(٣)] قال : تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . قلت : ـ القائل الأزهري ـ وتجعلون شكر رزقكم الذي يرزقكموه ا لله التكذيب أنه من عند الرزاق وتجعلون الرزق من عند غير ا لله وذلك كفر] [(٤)] .

---

(١) تهذيب ١٤/١٢ .

(٢) تهذيب ٢/٦٥ .

(٣) الواقعة ٨٢ .

(٤) تهذيب ١٥/٥٣٨ .

وكذلك أنكر الأزهري الذبح لغير اله فقال : [وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبائح الجن . قال أبو عبيد : وذبائح الجن أن يشتري الرجل الدار أو يستخرج العين أو ما أشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة قال : وهذا التفسير في الحديث قال ومعناه أنهم يتطيرون إلى هذا الفعل مخافة أنهم إن لم يذبحوا ويطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجن يؤذيهم فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم هذا ونهى عنه] (١) .

ومما تقدم يتضح أن الأزهري رحمه الله تعالى على منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية فلم ألحظ عليه ما يؤخذ عليه في هذا الباب بل تعريفاته وترجيحاته تدل على فهم سديد لمرامي كتاب الله ومقاصده خصوصا ما يتعلق بالتوحيد.

وأما عقيدته في الإيمان بالله تعالى :

فهي عقيدة أثرية سلفية لم يتأثر فيها بالبدع التي حدثت في العصور التي قبله في هذا الباب ومن المسائل التي ذكرها ما يلي :

١. يدخل العمل في مسمى الإيمان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدل على ذلك أنه ذكر نقلا فيه ذكر سبب تسمية المرجئة بما يدل على انتقاصها لأنها أخرت العمل ولم تدخله في مسمى الإيمان حيث يقول : [قال : ويقال هذا رجل مرجيء وهم المرجئيه وإن شئت قلت مرج وهم

---

(١) تهذيب ٤/٤٧٠ .

المرجية ، قال : وينسبون إليه في قول من لا يهمز مرجي ومن قال بالهمز قال مرجائي ، وقال غيره : إنما قيل لهذه العصابة مرجئة لأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل أي أخروه] [١] .

وقال الأزهري : [وبالنية تنفصل الأعمال الزاكية من الأعمال البائرة ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة إيمانا والوضوء إيمانا] [٢].

قلت : والصلاة والوضوء عمل وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمانا والأزهري يقصد أن العمل الظاهر يدل على الباطن فإذا صلح الباطن صلح الظاهر حتى أطلق عليه اسمه وصار جزءا منه فالعمل جزء من الإيمان وعمل القلب ونيته وصدقه جزء من الإيمان يؤيد هذا قوله [فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبه يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاك وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب فهو المؤمن المسلم كما قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم

---

(١) تهذيب ١١/١٨٣ .

(٢) تهذيب ١٢/٤٥٢ .

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (١)، أي أولئك الذين قالوا إنا مؤمنون فهم الصادقون] (٢) .

فالأزهري يقرر أن الإيمان ظاهر وباطن فالظاهر الانقياد للشريعة والخضوع لها والباطن عقيدة القلب وتصديق ويسمى الظاهر بالإسلام والباطن بالإيمان وهذا موافق لحديث جبريل عليه السلام الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه عن الإسلام ففسره له الرسول صلى الله عليه وسلم بالأعمال الظاهرة وهي شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وسأله عن الإيمان ففسره له بالأعمال الباطنة من الإيمان بالله وملائكته ةكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى (٣) .

والأزهري يتكلم عن حال اجتماع الإسلام مع الإيمان في الذكر لأنه أورد هذا الكلام في تفسير قول الله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ (٤).

---

(١) الحجرات ١٥ .

(٢) تهذيب ٥١٣/١٥ .

(٣) انظر حديث جبريل في صحيح مسلم مع النووي ١٥٧/١ .

(٤) الحجرات ١٤ .

وتكلم الأزهري عن كفر أبي طالب وأوضح أنه عرف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه وعبر عن ذلك بلسانه فقال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ولكنه لم ينقد للشريعة ظاهرا فدل على أن الأزهري يرى أن الإيمان قول وانقياد والانقياد لا يظهر إلا بجنس العمل لله [١] .

وقول الأزهري موافق لقول أهل السنة والجماعة فقد نقل البخاري عن أكثر من ألف رجل أنهم يقولون الدين قول وعمل [٢] .

ونص ابن رجب على عقيدة أهل السنة في الإيمان وأنه قول وعمل وحكى إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على هذا عن الإمام الشافعي [٣]، وكذلك شيخ الإسلام الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ذكر عقيدتهم في الإيمان وأنه قول وعمل يزيد وينقص [٤] .

٢. لا يخرج العبد من الإيمان بارتكاب الكبائر ما عدا الشرك بالله ذكر الأزهري أنواع الكفر المخرج من الملة نقلا عن شمر وهي أربعة : كفر إنكار، وكفر جحود ، وكفر معاندة ، وكفر نفاق ، ولم يجعل من

---

(١) تهذيب ٢/٢٢٢ و١٠/١٩٣ .

(٢) شرح السنة للآلكائي ١/١٧٢ .

(٣) جامع العلوم والحكم ص٢٥ .

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٦٧ ..

المكفرات الوقوع في المعاصي بل نقل قوله ومن لقي ربه بشيء من ذلك أي المكفرات الأربعة لم يغفر الله له ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [(١)] .

وقال الأزهري : حدثنا السعدي قال حدثنا الرمادي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : " ألا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " ، قال أبو منصور في قوله كفارا قولان : أحدهما : لابسين السلاح متهيئيين للقتال ، والقول الثاني : أنه يكفر الناس فيكفر كما تفعل الخوارج إذا استعرضوا الناس فيكفروهم وهو كقوله عليه السلام : " من قال لأخيه ياكافر فقد باء به أحدهما " [(٢)]] .

وكون الأزهري ينتقد الخوارج على مسلكهم في التكفير يدل على أنه على خلاف عقيدتهم .

وذكر الأزهري أنواع الكفر الأربعة السابقة ثم قال : [وأما الكفر الذي هو دون ما فسرنا فالرجل يقر بالتوحيد والنبوة ويعتقدهما وهو مع ذلك يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله من السعي في الأرض بالفساد وقتل النفس المحرمة وركوب الفواحش ومنازعة الأمر أهله وشق عصا المسلمين والقول في القرآن وصفات الله تعالى بخلاف ما عليه أئمة المسلمين وأعلام الهدى

---

(١) تهذيب ١٠/١٩٣ .

(٢) تهذيب ١٠/١٩٨ .

الراسخون في العلم بالتأويلات المستكرهة واعتماد المراء والجدل وأقصر قولي فيهم على هذا المقدار وأكل أمرهم إلى الله عز وجل] [١] .

وقال الأزهري : [فإن قال قائل من الملحدين في قول الله جل وعز ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [٢] كيف يكون حرما آمنا وقد أخيفوا وقتلوا في الحرم ؟

فالجواب فيه أن الله جل وعز جعله حرما آمنا أمرا وتعبدا لهم بذلك لا إخباراً فمن آمن بذلك كف عما نهي عنه اتباعا وانتهاء إلى ما أمر به ومن ألحد وأنكر أمر الحرم وحرمته فهو كافر مباح الدم ومن أقر وركب النهي فصاد صيد الحرم وقتل فيه فهو فاسق وعليه الكفارة فيما قتل من الصيد فإن عاد فإن الله ينتقم منه [٣].

ونقل الأزهري عن أبي الهيثم أن الفسوق يكون الشرك ويكون الإثم[٤].

فدل على أنه لا يرى كل معصية من الشرك بل منها ما يكون شركا ومنها ما يكون إثما ولو كان الأزهري لا يوافقه لاستدرك عليه كما هي عادته فيما يرى أن الصواب في غيره ومما يوضح أن الأزهري ليس على منهج

---

(١) الزاهر ٣٨١ .

(٢) العنكبوت ٦٧ .

(٣) تهذيب ٤٣/٥ .

(٤) تهذيب ٤١٤/٨ .

الخوارج أنه يرى أن بعض من دخل النار يخرج منها بعد أن يعذب على قدر ذنبه كما في الفصل الآتي وهذا بخلاف رأي الخوارج الذين يرون أن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار لا يخرج منها

وهذه النقول المتقدمة عن الأزهري تدل على أنه لا يخرج العبد من الإيمان بمجرد ارتكابه الكبائر ما عدا الشرك با لله وهذا معتقد أهل السنة والجماعة و لله الحمد يقول الصابوني : " لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب " .

وقال : ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر كانت أم كبائرفإنه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها فمات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى ا لله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما رتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار][1].

٣. لا يقول لا تضر مع الإيمان معصية كما تزعمه غلاة المرجئة [2]، حيث ذكر في مادة " ثغر " ما رواه أبو الزبير عن جابر عن النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال : " إذا ميز أهل الجنة من أهل النار أخرجوا قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة فيخرجون بيضا مثل الثعارير " والثعارير في هذا

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٧١ .

(٢) انظر عنهم ص١٧ من البرهان في معرفة عقائد أهل الأيان للسكسي .

الحديث رؤوس الطراثيث تراها إذا خرجت من الأرض بيضا شبهوا في البياض بها [١] .

وذكر في مادة " حمل " ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوم يخرجون من النار حمما فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل] [٢].

وسبق أن نقلنا قوله في أن أصحاب الكفر الأكبر لا يغفر الله لهم[٣].

فتبين من هذا أن هؤلاء الذين يخرجون كالثعارير إنما هم عصاة الموحدين فلو كان لا يضر مع الإيمان ذنب لما دخلوا النار ، وينقل الأزهري قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده ما من عبد يؤمن بالله ثم يسدد إلا سلك في الجنة ثم يفسر كلمة يسدد فيقول : أي يقتصد فلا يغلو ولا يسرف ، ومعنى الغلو ألا يكون مثل الخوارج ولا يسرف فيرتكب الذنوب الكثيرة والخطايا الجمة [٤]، فهو يعتبر أن مرتكب الذنوب مسرف ولم يقل كقول غلاة المرجئة بأن إيمانه كإيمان جبريل وما ذكره الأزهري هو معتقد أهل السنة والجماعة [٥] .

---

(١) تهذايب ٣٢٦/٢ .

(٢) تهذيب ٩٢/٥ .

(٣) تهذيب ١٩٣/١٠ .

(٤) تهذيب ٢٧٨/١٢ .

(٥) انظر جملا من المأثور عنهم في العقيدة في شرح السنة للالكائي ١٥١/١-١٩٣ .

٤. زيادة الإيمان : أورد الأزهري حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الإيمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة ، ونقل تفسير الأصمعي للمظة عن أبي عبيد وهي مثل النكتة أو نحوها من البياض ، ومنه قيل فرس المظ إذا كان بجحفلته شيء من البياض واعتقاد أن الإيمان يزيد وينقص هو عقيدة أهل السنة والجماعة التي حكاها عنهم الثقات كما قال البخاري : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص] [1] .

---

(١) فتح الباري ٤٤/١ ، وصحح ابن حجر إسناد الرواية إلى البخاري .

الفصل الرابع
عقيدته في
بعض المسائل الغيبيات

الفصل الرابع

عقيدته في بعض المسائل الغيبيات

لقد أثنى الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم على الذين يؤمنون بالغيب فقال سبحانه ﴿ الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (١) .

وروى الطبري بسنده عن أنس رضي الله عنه أن الذين يؤمنون بالغيب هم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وآمنوا بالحياة بعد الموت " (٢) .

قلت : فهذه أمثلة ذكرها أنس من باب التفسير بالمثال وإلا فالغيب أوسع من هذا وطريق العلم به ما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم قال تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾(٣).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما

---

(١) البقرة ١-٣ .

(٢) تفسير الطبري ١/ ٧٨ .

(٣) الجن ٢٦ - ٢٧ .

تغيض الأرحام إلا ا الله ولا يعلم ما في غد إلا ا الله ولا يعلم متى يـأتي المطـر إلا ا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا ا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا ا الله " .

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي ا الله عنها قالت : من حدثك أن محمدا صلى ا الله عليه وسلم يعلم الغيب فقد كذب ، وهو سبحانه يقول لا يعلم الغيب إلا ا الله (١) .

يقول الغنيمان في شرح هذه الأحاديث : [وعبر عن هـذه الأمـور الخمسـة بالمفاتيح لتقريب الأمر من السامع لأن كل شيء جعل بينك وبينـه حجـاب فقد غيب عنك والتوصل إلى معرفته في العادة من باب الحجاب فـإذا كـان المفتاح الذي لا يمكن الوصول إلى ما في داخل الحجاب إلا بمعرفتـه لا يعلـم فكيف بما في داخل الحجاب ودل الحديث على أن هذه الأمور ليسـت هـي الغيب وإنما هي وأن علم الغيب من خصائص ا الله تعالى وأمـا مـا جـاء عـن الأنبياء من الأخبار ببعض المغيبات كإخبار الرسول صلى ا الله عليه وسلم بما يقع بعده من الفتن والفتـوح علـى أمتـه وبعـض أشـراط السـاعة وكإخبـار عيسى عليه السلام بما يأكله بنو إسرائيل وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك فإن هذا مما استثناه ا الله تعالى بقوله﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا**

---

(١) انظر صحيح البخاري ١٦٦/٨ .

من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾ وهو من معجزاتهم التي تدل على صدقهم][١] .

والأزهري رحمه الله نقل تفسير أبي إسحاق في قوله ﴿ ويؤمنون بالغيب ﴾ أي يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر البعث والجنة والنار وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب ونقل تفسير ابن أبي الأعرابي بأن معنى يؤمنون بالغيب أي يؤمنون بالله ، قال : والغيب أيضا ما غاب عن العيون وإن كان محصل في القلوب] [٢] .
وقد سلك الأزهري في المسائل الغيبيات التي جاء بها الوحي مسلك أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بها على حقيقتها بخلاف أهل البدع الذين أتكروا كثيرا من أمور الغيب أو التمسوا لها تفسيرا يخالف ما تعرفه العرب من لغتها وذلك لشبه تسربت إليهم من أفكار الفلاسفة والزنادقة أو لقياسهم ما غاب عنهم على ما يرونه في الدنيا أو لعرضه على عقولهم القاصرة التي لا تدرك إلا شيئاً بسيطا مما حولها ثم جعلوا هذه العقول القاصرة هي الحاكمة على نصوص الوحي في أمور الغيب .

---

(١) شرح كتاب التوحيد للغنيمان ١/١١١ .

(٢) تهذيب ٨/٢١٤ .

يقول الأزهري في تقرير هذا المسلك : [وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال في قول الله ﴿ ونفخ في الصور ﴾ [(١)]، اعترض قوم فأنكروا أن يكون الصور قرنا كما أنكروا العرش والميزان والصراط وادعوا أن الصور جمع الصورة كما أن الصوف جمع الصوفة والثوم جمع الثومة ورووا ذلك عن أبي عبيدة قال أبو الهيثم : وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلم الله عن مواضعها لأن الله جل وعز قال ﴿ وصوركم فأحسن صوركم﴾[(٢)]، بفتح الواو ولا نعلم أحدا من القراء قرأها فأحسن صُوْركم وكذا قال الله ﴿ونفخ في الصور ﴾ فمن قرأها ونفخ في الصّوْر أو قرأ ﴿فأحسن صُوْركم﴾ فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو ، وقال الفراء : كل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعه واحدته فواحدته بزيادة هاء فيه وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه فإذا أفردت واحدته زيدت فيها هاء لأن جميع هذا الباب سبق واحدته ولو أن الصوفه كانت سابقة للصوف لقالوا صوفه وصوف وبسرة وبسر كما قالوا غرفة وغرف وزلفة وزلف وأما الصور القرن فهو واحد لا

---

(١) الكهف ٩٩ .

(٢) غافر ٦٤ .

يجوز أن يقال واحدته صوره وإنما تجمع صورة الإنسان صورا لأن واحدته سبقت جمعه فالمصور من صفات الله تعالى لتصويره صورة الخلق . ورجل مصور إذا كان معتدل الصورة ورجل صير حسن الصورة والهيئة ، وروى سفيان عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر، قالوا : فما تأمرنا يارسول الله؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل. قلت : ـ القائل هو الأزهري ـ قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه وهو قول أهل السنة والجماعة والدليل على صحة ما قالوا أن الله جل وعز ذكر تصويره الخلق في الأرحام قبل نفخ الروح وكانوا قبل أن صورهم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم صورهم تصويرا فأما البعث فإن الله جل وعز ينشئهم كيف شاء ومن ادعى أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان ونعوذ بالله من الخذلان] (١).

وهذا القول من الأزهري يدل على منهجه في الغيبيات وأنه يتمسك بقول أهل السنة والجماعة وأنه لا يقرر مسألة لا دليل عليها كما يبرز مكانته في اللغة وفهمها رحمه الله .

---

(١) تهذيب اللغة ٢٢٨/١٢ ـ ٢٢٩ .

وقال في مادة " سجد " وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد ومنه قول الله ﴿ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون﴾[١] أي خضعا متسخرة لما سخرت له وسجود الموات كله في القرآن طاعته لما سخر له ومنه قول الله جل وعز ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض - إلى قوله - وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴾ [٢]، وليس سجود الموات لله بأعجب من هبوط الحجارة من خشية الله وعلينا التسليم لله والإيمان بما أنزل من غير تطلب كيفية ذلك السجود وفقهه لأن الله جل وعز لم يفقهناه ونحو ذلك تسبيح الموات من الجبال وغيرها من الطيور والدواب يلزمنا الإيمان به والاعتراف بقصور أفهامنا عن فقهه كما قال الله تعالى [٣] ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [٤] .

---

(١) النحل ٤٨ .

(٢) الحج ١٨ .

(٣) الإسراء ٤٤ .

(٤) تهذيب اللغة ٥٧٢/١٠ .

ويرد الأزهري علـى الذين يفسرون قـول الله تعـالى ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ أن المراد أنه ما من شـيء إلا وفيه دليل أن الله جل وعز خالقه وأن خالقه حكيم مبرأ من الأسواء ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة في هذه المخلوقات ـ فيورد قول أبي إسحاق وليس هذا بشيء لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مقرين بأن الله خالقهم وخالق السماء والأرض ومن فيهن فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها ؟

ثم يقول الأزهري : قلت : ومما يدل على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تعبدت به قول الله جل وعز للجبال ﴿ ياجبال أوبي معه والطير﴾[1]، ومعنى أوبي أي سبحي مع داود النهار كله إلى الليل ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله جل وعز للجبال بالتأويب إلا تعبدا لها وكذلك قوله جل وعز ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر . . . ـ إلى قوله ـ وكثير من الناس ﴾[2]، فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقهها عنها كما لا نفقه تسبيحها وكذلك قوله ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق

---

(١) سبأ ١٠ .

(٢) الحج ١٨ .

فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [(١)] وقد علم الله هبوطها من خشيته ولم يعرفنا ذلك فنحن نؤمن بما أعلمنا ولا ندعي بما لم نكلف بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحدها] [(٢)].

ويؤكد الأزهري على منهجه في الإيمان بالغيب وهو اعتماده على الخبر الصحيح ـ بعد أن ذكر معنى الميزان في اللغة ـ [... هذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ إلا أن الأولى من هذا أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث نقل أهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك] [(٣)].

قلت : قد جاء والحمد لله في حديث صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون ، قال : لا يارب ، قال : أفلك عذر أو حسنة ، قال : فبهت الرجل ، فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول : احضروه ، فيقول : يارب

---

(١) البقرة ٧٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٤/٣٤٠ .

(٣) تهذيب اللغة ١٣/٢٥٧ .

ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال : ولا يثقل شيء مع اسم الله "[١].

ومما تقدم يتضح لنا منهج الأزهري في عقيدته في الغيبيات وأنه يقرر ما يقرره أهل السنة والجماعة وأنه يستسلم للنصوص وإن لم يدرك الكيفية الواردة فيها وسأذكر أمثلة من المسائل الغيبية التي نص عليها في كتبه بدون استقصاء وذلك لأن المسائل الغيبية كثيرة جدا وإنما نص أهل السنة على مجموعة منها في عقائدهم لأن أهل البدع أنكروها أو حرفوا معانيها فصار الإيمان بها من علامات أهل السنة وإنكارها أو تحريفها من علامات أهل البدع فقد جاء في عقيدة أحمد بن حنبل التي رواها عنه تلميذه عبدوس بن مالك أبو محمد العظار مما يتعلق ببعض الغيبيات ما يلي : [أصول السنة عندنا .... والإيمان بالميزان يوم القيامة ..... والإيمان بعذاب القبر ..... والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر ...][٢].

ونقل اللالكائي عقائد مجموعة من السلف نصوا فيها على ما نص عليه أحمد بن حنبل منهم علي بن المديني وأبو زرعة فقد ذكر الإيمان بالميزان وعذاب القبر والمسيح الدجال وغيرها من مسائل الغيب ومسائل الاعتقاد

---

(١) الحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/٣٣٣ وانظر مسند أحمد ٢/٢١٣ .

(٢) طبقات الحنابلة ١/٢٤١ وسوف أذكر طرفا من هذه العقيدة في بقية الفصول الاحقة لأنها بها أليق .

الأخرى [١]، ولا شك عندي أن التنصيص من العلماء السابقين على بعض مسائل الغيب إنما هو من باب إنكار المنكر الذي أحدثه أهل البدع ومن باب تمييز أهل السنة والجماعة عن الفرق المخالفة لهم وإلا فكل مسائل الغيب شأنها واحد فلو أنكر منكر بعض مسائل الغيب التي لم ينص عليها العلماء السابقون في عقائدهم فإنه يخرج من مسمى أهل السنة والجماعة ويلحق بأهل البدع كما ينقل عن بعض الجهلة المعاصرين إنكار حديث غمس الذبابة إذا وقعت في الإناء وحديث لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ونحو ذلك ، وهذه بعض المسائل الغيبية التي أشار إليها الأزهري في كتبه :

١. الإيمان بالملائكة وهو أحد أركان الإيمان ولا يتصور أن مسلما ينكر الملائكة ولكن بعض المنحرفين أقروا اللفظ وفسروه بأمر باطل كقولهم إن الملائكة هي قوى الخير أو قوى طبيعية أو نواميس طبيعية [٢]، لأنهم لا يرون الملائكة وهم لا يسلمون إلا بالمحسوسات وليس الأزهري من هذا الصنف والحمد لله وأكتفي بذكر نصين من كلامه الكثير في هذا الشأن فهو يقول في مادة " فزع " قال ا لله تعالى ﴿ حتى إذا فزّع عن قلوبهم﴾[٣]، اتفق أهل التفسير وأهل اللغة أن معنى قوله ﴿ فزّع عن قلوبهم﴾ كشف

(١) انظر شرح السنة اللالكائي ١/١٥١ ـ ١٨٦ .

(٢) انظر منهج المدرسة العقلية في التفسير ص٦٢٢ وما بعدها .

(٣) سبأ ٢٣ .

الفزع عن قلوبهم وتأويل الآية أن ملائكة سماء الدنيا كان عهدهم قد طال بنزول الوحي من السموات العلا فلما نزل جبريل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بعث نبيا ظنت الملائكة الذين في السماء الدنيا أن جبريل نزل لقيام الساعة ففزعوا فلما تقرر عندهم أنه نزل لغير ذلك كشف الفزع عن قلوبهم فأقبلوا على جبريل ومن معه من الملائكة وقالوا لهم ما ذا قال ربكم ؟ قالوا : قال الله الحق وهو العلي الكبير ، والذين فزع عن قلوبهم ههنا ملائكة السماء الدنيا وقيل إن ملائكة كل سماء فزعوا لنزول جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة فقال كل فريق منهم لهم ما ذا قال ربكم] [(١)] .

وفي كلام الأزهري المتقدم دلالة على أنه يثبت لله ملائكة يتكلمون ويخافون ولهم قلوب يعقلون بها وليسوا قوى معنوية كما يظنه بعض الأغبياء وإن كان تفسير الآية أعم مما ذكر الأزهري فهي ليست خاصة بنزول الوحي في بداية أمره يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم؟ قالوا : قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع

---

(١) تهذيب ١٤٥/٢ .

هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفيه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء "[(١)].

ويقول الأزهري أيضا في تفسير قوله تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾[(٢)].

قال الفراء : المعقبات : الملائكة ، ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ، قلت : - القائل الأزهري - جعل الفراء عقب بمعنى عاقب كما يقال صاعف وضعف وعاقد وعقد بمعنى واحد فكأن ملائكة النهار تحفظ العباد فإذا جاء الليل جاء معه ملائكة الليل وصعد ملائكة النهار فإذا أقبل النهار عاد من صعد وصعد ملائكة الليل كأنما جعلوا حفظه عقبا أي نوبا][(٣)].

فهو رحمه الله يؤمن بملائكة حفظة للناس يصعدون وينزلون .

٢. الإيمان بالجن : والجن خلق من خلق الله كلفهم بالعبادة كما في قوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وهم يتكلمون ويسمعون

---

(١) صحيح البخاري ٢٨/٦ .

(٢) الرعد ١١ .

(٣) تهذيب ٢٧٢/١ .

كما قال ا لله تعالى ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وليسوا قوى معنوية للشر كما يزعمه بعض أهل البدع الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات أو أنها الميكروبات أو نحو ذلك من التأويلات الباردة [١] .

والأزهري والحمد لله ليس من هذا الصنف بل يؤمن بوجود الجن وبأنهم مكلفون بالعبادة حيث نقل قول ابن الأعرابي إن الصلاة من ا لله رحمة ومن المخلوقين الملائكة والإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح ، والصلاة من الطير والهوام التسبيح[٢].

والأزهري في قوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ بأن العالمين المراد بهم الجن والإنس وليس كل الخلق كما زعم بعضهم ، ويحتج على هذا التفسير بقوله تعالى ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[٣]، فيقول : وليس النبي صلى ا لله عليه وسلم نذيرا للبهائم ولا للملائكة وهم كلهم خلق ا لله وإنما بعث محمد صلى ا لله عليه وسلم نذيرا للجن والإنس][٤] .

---

(١) انظر منهج المدرسة العقلية في التفسير ص٦٣١ وما بعدها .

(٢) تهذيب ٢٣٧/١٢ .

(٣) الفرقان ١ .

(٤) تهذيب ٤١٦/٢ .

ونقل الأزهري قول الليث إن الجن جماعة ولـد الجـان وجمعهـم الجنـة وإنما سموا جنا لأنهم استجنوا من الناس فلا يرون والجان هو أبو الجـن خلـق مـن نار ثم خلق منه نسله ورجح الأزهري قول أبي إسحاق إن إبليس ليس من الملائكة وإنما أمر بالسجود معهم وإنما هو من الجن] [1] .

ويرى الأزهري أن الجن ربما تسلطوا علـى الشـخص بـإذن الله وسـببوا لـه الجنون حيث قال : [قـال الله جـل وعـز ﴿ **كالذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ [2]، قال الفراء : المس الجنون والعرب تقول رجـل ممسـوس وعـن عمرو عن أبيه المأسوس والمموس والمدلس كله جنون] [3] .

٣. إيمانـه بـالروح وأنـه مخلـوق لا يعـرف كنهـه : كمـا قـال : وأخـبرني المنذري عن أبي طالب عن أبيه عن الفراء أنـه قـال في قولـه : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ﴾ [4] قال من علم ربي أنكم لا تعلمونـه ، قال الفراء : والروح هو الذي يعيش به الإنسـان لم يخـبر الله بـه أحـدا مـن خلقـه و لم يعـط علمـه العبـاد قـال وقولـه ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من**

(١) تهذيب ١٠/٤٩٨ .

(٢) البقرة ٢٧٥ .

(٣) تهذيب ١٢/٣٢٣ .

(٤) الإسراء ٨٥ .

روحي ﴾ فهذا الذي نفخه في آدم وفينا لم يعط علمه أحدا من عباده قال : وسمعت أبا الهيثم يقول : الروح إنما هو النفس الذي يتنفس الإنسان وهو جار في جميع الجسد فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه وإذا تتام خروجه بقي بصره شاخصا نحوه حتى يغض وهو بالفارسية جان قال وقول الله جل وعز في قصة مريم ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ قال : أضاف الروح المرسل إلى مريم إلى نفسه كما تقول أرض الله وسماؤه . قال : وهكذا قوله للملائكة ﴿ إني جاعل بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ ومثله ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ والروح في هذا كله خلق من خلق الله لم يعط علمه أحدا](١).

وهذا يبين أنه لا يقول الروح قديمة كما يقوله الفلاسفة وإنما يراها مخلوقة وإضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كما تقول بيت الله وكعبة الله وأرض الله وسماء الله .

٤ . الإيمان بأن العين حق : تصيب بإذن الله من يشاء أن تصيبه وهذه المسألة التي ثبتت في السنة وأنكرها الطبائعيون ومن تأثر بهم من أهل البدع يؤمن بها الأزهري لورودها في النصوص وينهج نهج أهل السنة والجماعة فهو يقول في مادة " سفع " وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي

---

(١) تهذيب ٥/٢٢٤ .

بصبي فرأى به سفعة من الشيطان فقال : استرقوا له " قوله سفعة أي ضربة منه ، يقال سفعته أي لطمته والمسافعة المضاربة ومنه قول الأعشى :

يسافع ورقاء جونية

ليدركها في حمام تكن

أي يضارب ، وروى أبو العباس عن عمرو عن أبيه قال : السفعة والشفعة بالسين والشين الجنون ورجل مسفوع ومشفوع أي مجنون وروى أبو عبيد عن الأموي أنه قال : المسفوعة من النساء التي أصابتها سفعة وهي العين ففي الحديث على هذا التفسير أنه رأى بالصبي عينا أصابته من الشيطان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاسترقاء له وأحسبه أراد أن يقرأ عليه المعوذتان وينفث فيه] [١].

وقال في تفسير مادة " لبط " قال الليث : لبط فلان بفلان الأرض لبطا إذا صرعه صرعا عنيفا ولبط بفلان إذا صرع من عين أو حمى ، وفي الحديث أن عامر بن أبي ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل فعاته فلبط به حتى ما يعقل وكان قال حين رآه : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن أبي ربيعة العائن حتى اغسل له أعضاءه وجمع الماء ثم صب على رأس سهل فراح مع الركب] [٢].

---

(١) تهذيب ١٠٨/٢ .

(٢) تهذيب ٣٥٣/١٣ .

وأورد الأزهري حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين : " أعيذكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ومن شر كل عين لامه " ويقول هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين] (١).

٥. إيمانه بالمسيح الدجال وأنه رجل أعور العين مكتوب بين عينيه كافر جعله الله فتنة لمن شاء من عباده وليس المسيح الدجال كناية عن الدجل والخرافة وما أشبه ذلك من التحريفات الباردة التي يسلكها أهل البدع ، يقول الأزهري : وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال : المسيح ابن مريم الصديق وضد الصديق المسيح الدجال أي الضلّيل الكذاب خلق الله المسيحين أحدهما ضد الآخر فكان المسيح ابن مريم يبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وكذلك الدجال يحيى الميت ويميت الحي وينشيء السحاب وينبت النبات فهما مسيحان مسيح الهدى ومسيح الضلالة] (٢).

وقال أيضا : [وفي حديث الدجال فإما هلك الهلك فإن ربكم ليس بأعور قال ابن الأنباري : من رواه كذلك فمعناه لكن هلك الدجال وخزيه

(١) تهذيب ٥/٣٨١ .

(٢) تهذيب ٤/٣٤٨ .

وبيان كذبه في عوره ومن رواه فإن هلكت هلك أراد ما اشتبه عليكم من أمره فلا يشتبهن عليكم إن ربكم ليس بأعور] [١] .

٦. إيمانه بخروج النار التي تحشر الناس وهي من أشراط الساعة حيث ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما اطلع على أصحابه وهم يتذاكرون الساعة فقال : [إنها لن تقوم حتى ترو قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم] [٢].

والأزهري رحمه الله أشار إلى هذه النار عند تفسيره مادة رحل فقال : [وفي الحديث عند اقتراب الساعة تخرج نار من قعر عدن ترحّل الناس " رواه شعبة وقال : ومعنى ترحل أي تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم إذا قالوا] [٣] .

٧. الإيمان بعذاب القبر حيث قال في مادة " تلا " وفي الحديث أن المنافق إذا وضع في قبره سئل عن محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت ولا اهتديت وأخبرني المنذري عن أبي

---

(١) تهذيب ١٧/٦ .

(٢) صحيح مسلم مع النووي ٢٨/١٨ .

(٣) تهذيب اللغة ٤/٥ .

طالب في تفسيره قال بعضهم : معنى ولا تليت ولا تلوت أي لا قرات ولا درست من تلا يتلو فقال تليت بالتاء ليعاقب بها الباء في دريت كما قالوا : إني لأتيه بالغدايا والعشايا وتجمع الغداة غدوات وقيل غدايا من أجل العشايا ليزدوج الكلام] [١] .

وقال أيضا : [وقال أكثر المفسرين في قوله جل وعز ﴿ **فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ [٢] إن المعيشة الضنك عذاب القبر] [٣] .

وذكر الأزهري حديث الرسول صلى ا لله عليه وسلم : " لو سمع أحدكم ضغطة القبر لجزع أو لخرع " ونقل عن شمر معنى خرع بأنه انكسر وضعف [٤] .

٨. إيمانه بالنفخ في الصور وإن الصور قرن ينفخ فيه حيث قال : [وقال أبو إسحاق في قول ا لله جل وعز ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ [٥] قال أهل التفسير : الناقور الصور الذي ينفخ فيه للحشر] [٦] .

---

(١) تهذيب ١٤/٣١٩ .

(٢) طه ١٢٤ .

(٣) تهذيب ٣/٦٠ .

(٤) تهذيب ١/٤٦٣ .

(٥) المدثر ٨ .

(٦) تهذيب ١٣/٥٠.

وقال رحمه الله رادا على أبي عبيدة تأويله للصور بأنه جمع صوره وإن النفخ إنما يكون فيها - [.... وكان أبا عبيدة أراد أن يؤيد قوله في الصور أنه جمع صوره فأخطأ في الصور والسور وحرف كلام العرب عن صيغته وأدخل فيه ما ليس منه خذلانا من الله لتكذيبه بأن الصور قرن خلقه الله للنفخ فيه حتى يميت الخلق أجمعين بالنفخة الأولى ثم يحييهم بالنفخة الثانية والله حسيبه] [١] .

ويرى الأزهري أن الذي ينفخ في الصور ملك كلفه الله بذلك حيث ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر][٢].

٩. إيمانه أن الحشر يوم القيامة ليس للأرواح فقط بل إعادة كاملة للروح والجسد حيث نقل تفسير العلماء لقول الله تعالى ﴿ **ونحشر المجرمين يومئذ زرقا** ﴾ [٣] فقيل عميانا وقيل عطاشا وقيل طامعين فيما لا ينالونه [٤]، وهذه صفات أجساد حية .

---

(١) تهذيب ٩/٩٧ .

(٢) تهذيب ١٢/٢٢٩ .

(٣) طه ١٠٢ .

(٤) تهذيب ٤٢٩ .

١٠. إيمانه بالعرش وأنه شيء يحمل وليس هو الملك كما يتأوله أهل البدع حيث قال في مادة " وصع " روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " العرش على منكب إسرافيل وإنه ليتواضع لله جل وعز حتى يصير مثل الوصع " قال أبو عبيد يقال في الوصع أنه الصغير من أولاد العصافير] [(١)].

وقال في مادة " عرش " قال الله جل وعز ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾[(٢)]، وقال في موضع آخر ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ [(٣)]، وروى سفيان الثوري عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره .... وحديث الثوري متصل والعرش في كلام العرب سرير الملك يدلك على ذلك سرير مملكة سبأ سماه الله جل وعز عرشا فقال ﴿**إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم** ﴾ [(٤)].

قلت : والعرش في كلام العرب أيضا سقف البيت وجمعه عروش ومنه قول الله جل وعز ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على

---

(١) تهذيب ٣/٨٤ .

(٢) طه ٥ .

(٣) الحاقة ١٧ .

(٤) النمل ٢٣ .

عروشها﴾[١] ، قال الكسائي في قوله : وهي خاوية علــى عروشـها : علـى أركانها ، وقال غيره من أهل اللغة : على سقوفها ، أراد أن حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها فصارات في قرارها وانقعـرت الحيطـان مـن قواعدهـا فتساقطت على السقوف المتهدمة قبلها] [٢] .

وقال الأزهــري : وفي الحديـث أن جـبريل قـال : لله دون العـرش سـبعون حجابا لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سـبحات وجـه ربنـا [٣]، وهـذا يـدل على أنه لا يفسر العرش بالملك .

١١. يمانه بالكرسي كما في قوله تعالى ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾ [٤] ، حيـث رد مـا روي عـن ابـن عباس بأن الكرسي العلم فقال : قلت والصحيح عن ابن عباس في الكرسـي ما رواه الثوري وغيره عن عمار الدهني عن مسـلم البطـين عـن سـعيد بـن جبير عن ابن عباس أنه قال : الكرسي موضع القدمين وأمـا العـرش فإنـه لا يقدر قدره وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها والـذي روي عـن ابـن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار] [٥].

---

(١) البقرة ٢٥٩ .

(٢) تهذيب ٤١٣/١ .

(٣) تهذيب ٣٣٩/٤ .

(٤) البقرة ٢٥٥ .

(٥) تهذيب ٥٤/١٠ .

١٢. إيمانه بالصراط الذي يمر عليه الناس يوم القيامة حيث قال في مادة " صرى : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فينكبه مرة ويمشي مرة وتسفعه النار فإذا جاوز الصراط ترفع له شجرة فيقول : يارب أدنني منها ، فيقول الله: أي عبدي ما يصريك مني ، قال أبو عبيد : قوله : ما يصريك ما يقطع سألتك مني يقال صريت الشيء أي قطعته ومنعته وأنشد :

هواهن إن لم يصره الله قاتله [١] .

١٣. إيمانه بأن النعيم في الجنة حسي وأنه للأجساد بعد أن تعاد إليها الأرواح لا كما يزعمه المبطلون بأنه نعيم معنوي وأنه للأرواح فقط حيث يقول : [وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أهل الجنة فقال : " لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجري في أعراضهم مثل ريح المسك " ، قال أبو عبيد : قال الأموي : واحد الأعراض عرض وهو كل موضع يعرق من الجسد يقال فلان طيب العرض أي طيب الريح ، قال أبوعبيد : المعنى هاهنا في العرض أنه كل شيء في الجسد من المغابن][٢] .

---

(١) تهذيب ٤٢٢/١٢ .

(٢) تهذيب ٤٥٧/١ .

وقال : وفي حديث آخر في ذكر الجنة ونبقها مثل قلال هجر وقلال هجر والإحساء ونواحيها معروفة وقد رأيتها بالإحساء فالقلة منها تأخذ مزادة من الماء وتملأ الراوية قلتين] [١] .

وفي الحديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : " بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب " ، قال أهل العلم واللغة : القصب في هذا الحديث لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف " [٢] .

وهذا غيض من فيض يبين عقيدة الأزهري في هذه المسألة الغيبية التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة .

١٤. إيمانه بخلود أهل الجنة في الجنة وأن نعيمها لا يفنى حيث نقل قول الليث في مادة " خلد " وأن الخلود هو البقاء في دار لا يخرج منها ، قال : وأهل الجنة خالدون مخلدون آخر الأبد وأخلد الله أهل الجنة إخلادا] [٣].

وقال في مادة " سلم " قال الله جل وعز ﴿ لهم دار السلام عند ربهم﴾[٤]، قال أبو إسحاق : أي للمؤمنين دار السلام ، قال : وقال بعضهم السلام ههنا اسم من أسماء الله تعالى ودليله السلام المؤمن المهيمن، قال : ويجوز أن

---

(١) تهذيب ٢٨٨/٨ .

(٢) تهذيب ٣٨/٨ .

(٣) تهذيب ٢٧٧/٧ .

(٤) الأنعام ١٢٧ .

تكون الجنة سميت دار السلام لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع ولا تفنى] [1] .

هذه أمثلة من عقيدة الأزهري في المسائل الغيبية تبين عقيدة الرجل في هذا الباب وأنه جار على منهج أهل السنة والجماعة وليس على منهج أهل البدع ورغم أن الرجل يتكلم عن التفسير اللغوي للكلمات إلا أن صفاء عقيدته يدفعه لمناقشة أهل البدع في بدعهم أحيانا وبيان ما يبطلها من الأدلة الشرعية ومن كلام العرب فرحمه ا لله رحمة واسعة .

---

(١) تهذيب ١٢/٤٤٦ .

الفصل الخامس
عقيدته في النبوات

الفصل الخامس

عقيدته في النبوات

نذكر في هذا الفصل طرفا من أقوال الأزهري في المسائل التي تتعلق بالرسل لأن الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان العظام كما في حديث جبريل المشهور لما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : " أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله .... الحديث [١]، ونحاول إبراز بعض المسائل المتعلقة بالأنبياء التي أخطأ فيها المتكلمون وغيرهم من أهل البدع ليتضح للقاريء عقيدة الأزهري في النبوات ومدى موافقته لأهل السنة والجماعة من عدمها .

فينقل الأزهري تعريف النبي عن ابن السكيت : بأن النبي هو من نبأ عن ا لله وأنه مأخوذ من النباوه وهي الارتفاع من الأرض لارتفاع قدره ولأنه شرِّف على سائر الخلق وينقل عن الكسائي بأن النبي الطريق والأنبياء طرق الهدى[٢] .

ونقل في تفسير مادة " رسل " عن أبي بكر بن الأنباري أن معنى أشهد أن محمدا رسول ا لله أي أعلم وأبين أن محمدا متابع للإخبار عن ا لله عز وجل،

---

(١) انظر الحديث بتمامه في صحيح مسلم مع النووي ١٥٧/١ .

(٢) تهذيب ٤٨٦/١٥ .

قال : والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قولهم جاءت الإبل رسلا أي متتابعة ، ونقل عن أبي إسحاق النحوي في قول الله تعالى حكاية عن موسى وأخيه ﴿فقولا إنا رسول رب العالمين﴾[١]، معناه : إنا رسالة رب العالمين أي ذو رسالة رب العالمين ، وقال الأزهري : وهذا قول الأخفش وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة [٢] .

وفي كتابه الزاهر اعتمد في تفسير الرسول على كلام أبي بكر بن الأنباري المذكور آنفا [٣]، ويذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ﴾ عن ابن عرفة نفطويه أن البينة هي صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته في التوراة وأن أهل الكتاب كانوا مجتمعين على أنه سوف يبعث فلما بعث تفرقوا وجحده بعضهم][٤].

ومن المسائل المتعلقة بالأنبياء التي أشار إليها الأزهري ما يلي : -

---

(١) الشعراء ١٦ .

(٢) تهذيب ٣٩١/١٢ .

(٣) الزاهر ٩٢ .

(٤) تهذيب ٤٥٨/٩ .

١. مسألة الوحي إلى الأنبياء :

حيث يقول : [وقال أبو إسحاق : وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا ، قلت : وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيا والكتابة تسمى وحيا ، وقال الله جل وعز ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾(١)، معناه : إلا أن يوحي الله إليه فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه أما إلهاما وإما رؤيا وإما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على موسى أو قرآنا يتلى عليه كما أنزل على محمد وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها](٢).

ويقول : قال الله جل وعز ﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ (٣)، يعني الوحي الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم جعله ثقيلا من جهته عظم قدره وجلالة خطره وأنه ليس بسفاف الكلام الذي يستخف به فكل شيء نفيس وعلق خطير فهو ثقل وثقيل وثاقل وليس معنى قوله ثقيلا بمعنى الثقيل الذي يستثقله الخلق فيتبرمون به](٤).

---

(١) الشورى ٥١ .

(٢) تهذيب ٥/٢٩٧ .

(٣) المزمل ٥ .

(٤) تهذيب ٩/٧٩ .

وقال الأزهري : [وفي حديث عائشة أنها قالت : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم الوحي عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا "] [١] .

وأشار الأزهري إلى الكتب السابقة على القرآن التي نزلت على الأنبياء السابقين فقال في تفسير مادة " زبر " قال أبو عبيدة : زبرت الكتاب وزبرته إذا كتبته قال : وقال الأصمعي : زبرت الكتاب كتبته وزبرته قرأته وقال أعرابي إني لأعرف تزبرتي أي كتابتي ، وقال الليث : الزبور الكتاب وكل كتاب زبور ، وقال الله جل وعز ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾ [٢] .

وروي عن أبي هريرة أنه قال : الزبور ما أنزل على داود من بعد الذكر من بعد التوراة .

وقرأ سعيد بن جبير ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور** ﴾ بضم الزاي ، وقال : الزبور التوراة والإنجيل والقرآن قال : والذكر الذي في السماء] [٣] .

٣. مسألة عموم رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء :

---

(١) تهذيب ٢١٣/١٢ .

(٢) الأنبياء ١٠٥ .

(٣) تهذيب ١٩٧/١٣ .

حيث سبق قول الأزهري : [وإنما بعث محمد صلى ا الله عليه وسلم نذيرا للجن والإنس] (١) .

وذكر الأزهري قول الرسول صلى ا الله عليه وسلم : " أرسلت إلى كل أحمر وأسود " ورجح الأزهري تفسير أبي عمرو بن العلاء الذي يفسر الأحمر بالأبيض فقال : والقول ما قال أبو عمرو وأنهم الأسود والأبيض لأن هذين النعتين يعمان الآدميين أجمعين وهذا كله كقوله : بعثت إلى الناس كافة وكانت العرب تقول للعجم الذين يكون البياض غالبا على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن صاقبهم أنهم الحمراء](٢) .

ونقل قول ابن الأعرابي : الخاتم والخاتم من اسماء النبي صلى ا الله عليه وسلم ، ومعناه : آخر الأنبياء ، وقال ا الله تعالى ﴿ وخاتم النبيين﴾](٣) .

وذكر الأزهري حديث النبي صلى ا الله عليه وسلم أنه قال : " لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد والماحي يمحو ا الله بي الكفر والحاشر أحشر الناس على قدمي والعاقب " ، ونقل قول أبي عبيد في تفسير العاقب بأنه آخر الأنبياء] (٤) .

٣. مسألة معجزات الأنبياء :

---

(١) تهذيب ٤١٦/٢ .

(٢) تهذيب ٥٦/٥ .

(٣) تهذيب ٣١٦/٧ .

(٤) تهذيب ٢٧١/١ .

يقول الأزهري : [وكذلك إرسال الرسل بالآيات المعجزة والكتب المنزلة والبراهين الواضحة نعم منه جل اسمه بينة ومن لم يصدق بها وردها فقد كفر نعمة الله أي سترها وحجبها عن نفسه] [(١)].

وقال الأزهري : [وقيل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب بعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه صلى الله عليه وسلم تلا عليهم كتاب الله منظوما مع أميته بآيات مفصلات وقصص مؤتلفات ومواعظ حكيمات تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه . وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص ، فحفظه الله جل وعز على نبيه كما أنزله وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم بها وفي ذلك أنزل الله تعالى ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ [(٢)] ، يقول جل وعز : لو كنت تتلو من الكتاب أو تخط لارتاب المبطلون الذين كفروا ولقالوا إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب][(٣)].

---

(١) تهذيب ١٠/١٩٩ .

(٢) العنكبوت ٤٨ .

(٣) تهذيب ١٥/٦٣٧ .

وأشار إلى معجزات عيسى عليه السلام فقال : [وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال : ذكر الله جل وعز لعيسى آيتين :
أحداهما : تكليمه الناس في المهد فهذه معجزة .
والأخرى : نزوله إلى الأرض عند اقترب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد فهذه الثانية] [١].

قلت : المراد أنه ذكر معجزتين في هذه الآية ﴿ **ويكلم الناس في المهد وكهلا**﴾[٢] ، وإلا فإن الله ذكر لعيسى معجزات أخر وقد أشار إليها الأزهري في قوله الذي نقله عن أبي الهيثم : إن الله خلق المسيحين أحدهما ضد الآخر ، فكان المسيح بن مريم يبريء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ...] [٣].

وقال : الأزهري في تفسير قراءة ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾[٤]، المعنى أن ظهور عيسى ونزوله إلى الأرض علامة تدل على اقتراب الساعة الساعة][٥].

---

(١) تهذيب ١٨/٦ .

(٢) آل عمران ٤٦ .

(٣) تهذيب ٣٤٨/٤ .

(٤) الزخرف ٦١ .

(٥) **تهذيب ٤١٨/٢ .**

وما تقدم يبين أن الأزهري يؤمن بمعجزات الأنبياء ولا يحرفها كما يفعل بعض الأغبياء ويؤمن بنزول عيسى آخر الزمان وهو ابن ثلاثين سنة وهذا يدل على أنه يرى أنه رفع إلى الله في هذه السن وأنه ينزل فيها والإيمان بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما يميز أهل السنة والجماعة عن الجهمية والمعتزلة فقد ذكر الإمام أحمد في حكايته لأصول السنة عند أهل السنة والجماعة : أن عيسى ينزل فيقتل المسيح الدجال بباب لد [(١)]، ويقول القاضي عياض : [نزول عيسى وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى ﴿ وخاتم النبيين ﴾ وبقوله صلى الله عليه وسلم :" لا نبي بعدي " ، وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيره أنه ينزل حكما مقسطا يحكم شرعنا ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس][(٢)].

---

(١) طبقات الحنابلة ١/٢٤٣ .

(٢) شرح النووي ١٨/٧٥ .

وذكر الأزهري خاتم النبوة الذي جعله ا لله علامة على نبوة الرسـول صلـى ا لله عليه وسلم فقال : [وجاء رجل إلى النبي صلى ا لله عليه وسـلم فـرأى بين كتفيه خاتم النبوة فقال : إن أذنت لي عالجتها فـإني طبيـب فقـال النبي صلى ا لله عليه وسلم : " طبيبها الذي خلقها معناه العالم بها خالقها الذي خلقها لا أنت "] [١] .

٤. مسألة عصمة الأنبياء :

الأزهري يرى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكفـر فهـو يقـول : [وقال أبو إسحاق في قوله ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ [٢]، أي ظن أن لـن نقّدر ما قدرنا من كونه في بطن الحوت قال : ونقدر بمعنى نقّدر وقد جـاء هذا التفسير قلت : ـ القائل الأزهري ـ وهذا الذي قاله أبو إسحاق صحيح والمعنى ما قدره ا لله عليه من التضيق في بطن الحوت ويكون المعنى ما قدره ا لله عليه من التضييق كأنه قال : ظن أن لن نضيق عليه وكل ذلك شائع في اللغـة وا لله أعلـم بمـا أرد فأمـا أن يكـون قولـه ﴿ أن لن نقدر عليـه ﴾ في القدرة فلا يجوز لأن من ظن هذا كفر والظـن شـك والشـك في قـدرة ا لله

---

(١) تهذيب ١٣/٣٠٤ .

(٢) الأنبياء ٨٧ .

كفر وقد عصم الله أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأول ولا يتأول مثله إلا الجاهل بكلام العرب ولغاتها] [١].

ونقل الأزهري عن أبي الهيثم أنه قال : من اعتقد أن يونس ظن أن لن يقدر الله عليه فهو كافر لأن من ظن ذلك غير مؤمن ويونس رسول الله لا يجوز ذلك الظن عليه وفسر أبو الهيثم الآية بمعنى أن لن نقدّر عليه العقوبة أو بمعنى أن لن نضيق عليه [٢] .

وكما يرى الأزهري أن الأنبياء معصومون من الكفر فهو يرى أنهم قد عصموا من الكبائر وأنه قد يصدر منهم ما يصدر من بعض بني آدم من الهم بالمعصية ولكنهم لا يقعون فيها بحمد الله فهو يقول : [وأخبرني المنذري عن أبي العباس ثعلب أنه سئل عن قول الله جل وعز ﴿ **ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ [٣]، فقال : همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك وهم يوسف بالمعصية و لم يأتها و لم يصر عليها فبين الهمتين فرق] [٤] .

---

(١) تهذيب ٢١/٩ .

(٢) تهذيب ٢٠/٩ .

(٣) يوسف ٢٤ .

(٤) تهذيب ٣٨٢/٥ .

وهذا يدل على أن الأزهري ليس كالمتكلمين المغالين في العصمة والذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويفسرون هم يوسف عليه السلام بأنه هم بضربها أو هم بالفرار منها [١]، وهذا التحريف لا يناسب سياق الآية يقول ابن قتيبة معترضا على هذا التحريف : [افتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها .... هذا ليس به خفاء ولكنها همت منه بالمعصية هم نية واعتقاد وهم نبي الله صلى الله عليه وسلم هما عارضا بعد طول المراودة] [٢] .

يقول ابن تيمية : [والسلف متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى ..... ومتفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلا ولا على فسق ولا كذب ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها][٣] .

ولا ينكر الإزهري سحر النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعله بعض المتكلمين الذي يظنون أن سحر النبي صلى الله عليه وسلم ينافي عصمته فهو يذكر حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر وجعل سحره في جف طلعة ودفن تحت راعوفة البئر ويذكر تفسير أبي عبيد للراعوفة

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٠٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) منهاج السنة النبوية ١/١٣٠ .

وهي صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتفرت تكون ناتية هنـاك فـإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها [١] ، ويقـول الأزهـري : ويـروى عـن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ نفسه بالمعوذتين بعدمـا طـب أي سـحر وهذا بخلاف قول المنكرين لحقيقة السحر فإنه لو لم يكن له حقيقة لما عـوذ الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه منه وذكر أنه احتجم بقرن حـين طـب وذكر عن أبي عبيد أن معنى طب أي سحر وإنما قالوا مطبوبا تفـاؤلا كمـا قالوا للديغ سليم] [٢].

يقول ابـن القيـم عـن قصـة سـحر النبي صلـى الله عليـه وسـلم : والقصـة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمة مـن المتكلمـين ويـرد علـى المتكلمين شبههم ردا نفيسا [٣] .

ويقول القرطبي : [ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة لـه وإنمـا هـو تمويـه وتخييـل ولا حجـة لهم] [٤] .

---

(١) تهذيب ٢/٣٤٨ .

(٢) تهذيب ٣/١٤٧ و ١٣/٣٠٢ .

(٣) انظر تفسير المعوذتين لابن القيم ص٣٢ وما بعدها .

(٤) تفسير القرطبي ٢/٤٤ .

والأزهري رحمه ا لله لا يوافق أهل الكـلام علـى تحريفـاتهم وإنمـا يثبـت مـا تثبت النصوص الشرعية .

٥. حوض الرسول صلى الله عليه وسلم وشفاعته :

يعتقد الأزهري بوجود حوض للنبي صلى ا لله عليه وسلم يوم القيامة حيـث قال : [وفي حديث ثوبان عن النبي صلى ا لله عليه وسلم في الحـوض يغت فيه ميزابان مدادهما من الجنة ، قلت : ـ القائل الأزهري ـ هكذا سمعته مـن محمد بن إسحاق يُغت بضم الغين قال : ومعنى يغت يجري جريا له صـوت وحزير وقيل تغط ولا أدري ممن حفظ هذا التفسير ، قلت : ولو كان كمـا قال لقيل يغـت ويغـط بكسـر الغـين ومعنـى يغـت عنـدي يتـابع الدفـق في الحوض لا ينقطعان مأخوذ من قولك غت الشارب الماء جرعـا بعـد جـرع ونفسا بعد نفس من غير إبانة الإناء عن فيه] [١] .

وقال الأزهري : وقد روي عن ابن عمر وأنس بن مـالك عـن النبي صلـى ا لله عليه وسلم أنه قال : " الكوثر نهر في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل على حافتيه قباب الدر المجوف والكوثر فوعل من الكثرة ومعنـاه الخير الكثير وجاء في التفسير أن الكوثر الإسلام والنبوة وجميـع مـا جـاء في تفسير الكوثر قد أعطى النبي صلى ا لله عليـه وسـلم أعطـي النبـوة وإظهـار

---

(١) المستدرك على التهذيب ص٥٤ .

الدين الذي بعث به على كل دين والنصر على أعدائه والشافعة لأمته وما لا يحصى من الخير وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة][1].

وذكر الأزهري في مادة " عنق " حديث معاذ وأبي موسى وأنهما كانا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ومعه أصحابه فأناخوا ليلة معرسين وتوسد كل ذراع راحلته قالا فانتبهنا ولم نر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند راحلته فاتبعناه فأخبرنا عليه السلام أنه خير بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة وإنه اختار الشفاعة قال : فانطلقنا إلى الناس معانيق نبشرهم . قال شمر : قوله معانيق أي مسرعين] [2] .

ومما تقدم يتضح إيمان الأزهري بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفة المذكورة في الحديث وإيمانه بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على مخالفته للخوارج والمعتزلة الذين ينكرون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يرون أن من دخل النار فهو خالد مخلد فيها وما يعتقده الأزهري هو عقيدة أهل السنة والجماعة التي نقلها عنهم جمع من الأئمة ومنهم أحمد بن حنبل حيث قال : [أصول السنة عندنا .... والإيمان بالحوض وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضا يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر وآنيته عدد نجوم السماء على ما صحت

---

(١) تهذيب ١٧٨/١٠ .

(٢) تهذيب ٢٥٦/١ .

به الأخبار من غير وجه .... والإيمان بشفاعة النبي صلى ا لله عليه وسلم وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمـا فيؤمر بهـم إلى نهـر على باب الجنة كما جاء الأثر] [1] .

ومنهم أبو إسماعيل الصابوني حيث قال : [ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد الخبر الصحيح عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ..... ويؤمنون بالحوض والكوثر ....] [2] .

ويقول أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعرقا وشاما ويمنا فكان من مذاهبهم [..... والحوض المكرم به نبينا حق والشفاعة حق] [3] .

---

(١) طبقات الحنابلة ١/٢٤٢ .

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٦١ .

(٣) شرح السنة للالكائي ١/١٧٦ .

الفصل السادس

عقيدته في

الإمامة والصحابة

الفصل السادس

عقيدته في الإمامة والصحابة

يرى الإمام الأزهري أن من السنة أن يكون الشخص مع الإمام وأنه لا يفارق طاعته إذا أقام الصلاة للناس حيث يقول وفي الحديث : " إذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم ، قيل السواد الأعظم جملة الناس التي اجتمعت على طاعته السلطان وبخصت [١] له برا كان أو فاجرا وأقام الصلاة ، وروي ذلك عن أنس قيل له : أين الجماعة؟ قال : مع أمرائكم[٢] .

ويشنع الأزهري على الذين يخرجون على الإمام ويعتبر أن هذا من الغلو الذي لا ينفع صاحبه فيقول : " وتمرس الرجل بدينه أن يمارس الفتن ويشادها ويخرج على إمامه فيضر بدينه ولا ينفعه غلوه فيه ، كما أن الجرب من الإبل إذا تحكك بالشجر أدماه ولم يبرئه من جربه][٣] .

ويعيب على الخوارج شقهم لعصا المسلمين فينقل قول أبي عبيد أصل العصا الاجتماع والائتلاف ومنه قيل للخوارج قد شقوا عصا المسلمين أي

---

(١) أي لانت له وربما تكون الكلمة ونصحت فتحرفت من النساخ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٥/١٣ .

(٣) تهذيب ٤٢٥/١٢ .

فرقوا جماعتهم وقول القائل إياك وقتيل العصايقول إياك أن تكون قاتلا أو مقتولا في شق عصا المسلمين] [١] .

ويصف الذين يخرجون على الإمام العادل بأنهم بغاه فيقول : [والفئة الباغية هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل [٢] .

وأما عقيدته في الصحابة فهو يعترف بكثرة خيرهم وسبقهم الأمة إلى ما يستوجبون به كريم المآب برحمة ا لله إياهم ورضوانه عليهم ويذكر من فضلهم أنهم شاهدوا التنزيل وعاينوا الرسول صلى ا لله عليه وسلم وأنهم خير هذه الأمة التي وصف ا لله جل وعز فقال ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ويذكر ما يجب لهم من حقوق فيقول وواجب على من بعدهم الاستغفار لهم والترحم عليهم وأن يسألوا ا لله ألا يجعل في قلوبهم غلا لهم ولا يذكروا أحدا بما فيه منقصة لهم وا لله يرحمنا وإياهم ويتغمد زللنا بفضله ورحمته إنه هو الغفور الرحيم] [٣] .

وذكر الأزهري من فضل الصحابة ما جاء في حديث مسروق أنه قال : ما شبهت بأصحاب محمد صلى ا لله عليه وسلم إلا الإخاذ تكفي

---

(١) تهذيب ٧٧/٣ .

(٢) تهذيب ٢١٢/٨ .

(٣) تهذيب ٦/٥ .

الإخاذة الراكب وتكف الإخاذة الراكبين وتكفي الإخاذة الفئام من الناس والإخاذ مجتمع الماء شبيه بالغدير [١] .

وهذا ثناء على علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلهم ، ونقل الأزهري فضل الأنصار رضي الله عنهم في قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم : " أنتم شعار وغيركم الدثار " وأراد أنهم أخص أصحابه كما سماهم عيبته وكرشه [٢] .

وذكر الأزهري قول أبي إسحاق في تفسير القرن حيث قال : والذي يقع عندي والله أعلم أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلت السنون أو كثرت والدليل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : " خيركم قرني ـ بمعنى أصحابي ـ ثم الذين يلونهم ـ يعني التابعين ـ ثم الذين يلونهم ـ يعني الذين أخذوا عن التابعين "] [٣] .

هذا معتقد الأزهري في الصحابة على الجملة والعموم وإلا فإنه ذكر فضائل لبعضهم على وجه الخصوص كأبي بكر الصديق وأمهات المؤمنين والخلفاء الأربعة مما يخرج استقصائه عن موضوع هذا البحث وسوف يأتي طرف من ثنائه على الصحابة في فصل الرد على الطاعنين في عقيدته وما أشار إليه الأزهري في الإمامة والصحابة هو مذهب أهل السنة والجماعة حيث يقول

---

(١) تهذيب ٥٢٤/٧ .

(٢) تهذيب ٤١٩/١ .

(٣) تهذيب ٨٧/٩ .

أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في حكايته لمذاهب أهل السنة والجماعة التي تلقاها عن أبيه وعن أبي زرعة : [ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة] (١) .

وقد أخبر الإمام البخاري بأنه لقي أكثر من ألف رجل من أهل العلم والسنة ونقل عنهم ما اتفقوا عليه من العقائد ومنها [وما رأيت فيهم أحدا يتناول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالت عائشة : أمروا أن يستغفروا لهم وذلك قوله ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ .

وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ثلاث لا يغل عليهن قلب امريء مسلم إخلاص العمل لله وطاعة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم " ثم أكد في قوله ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ وأن لا نرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم(٢) .

---

(١) شرح السنة للالكائي ١/١٧٧ .

(٢) شرح السنة اللالكائي ١/١٧٥ .

وقال أبو إسماعيل الصابوني في ذكره لعقيدة السلف وأصحاب الحديث : [ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدل إلى الجور والحيف ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل ، ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصا فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين] [١] .

---

(١) عقيدة السلف للصابوني ص٩٣ .

الفصل السابع
موقفه من
الفرق المبتدعة

الفصل السابع
موقفه من الفرق المبتدعة

الإزهري رحمه الله رحمة واسعة من أهل السنة والجماعة وهذه الحقيقة التي توصلت إليها من خلال بحثي في مؤلفات الرجل وأقواله لي عليها أدلة كثيرة، منها :

١. الدليل الأول : ما نقلته عنه من أقوال في شتى مسائل العقيدة واتضح من البحث أنها موافقة لأقوال أهل السنة والجماعة .

٢. أنه يذكر كلمة صاحب سنة أو من أهل السنة والجماعة في مقام المدح لكثير من العلماء الذين اعتمد على أقوالهم وقد تقدم هذا الثناء في فصل أهمية معرفة عقيدة الناقلين للغة والمضفين فيها وأن العلماء الذين أثنى عليهم بأنهم من أهل السنة هم حقيقة كذلك وليسوا من أهل البدع الذين يتسمون بالسنة زوراً .

٣. أنه هو بنفسه حدد انتماءه لأهل السنة وقرر أنه لا يرضى بغير قولهم حيث قال بعد أن ذكر مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة النفخ في الصور وذكر منافحة أبي الهيثم عن قول أهل السنة ثم قال : ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه وهو قول أهل السنة والجماعة] [١].

---

(١) تهذيب ٢٢٩/١٢ .

٤. تفقهه على مذهب الشافعي وإعلانه بأنه اختار مذهب الشافعي لما يمتاز به الشافعي من ثاقب البصيرة وبراعة البيان وغزارة العلم وفصاحة اللسان وجزالة الألفاظ [١] .

والأزهري رأس في اللغة فأعجبته فصاحته وجزالة ألفاظه فانساق إلى مذهبه، والشافعي عليه رحمة الله إمام من أئمة السنة والجماعة ومن أشهر كتبه الرسالة وقد قرأها الأزهري ونقل منها نصا مطولا في مقدمة كتاب تهذيب اللغة وفي الرسالة تقرير الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة وترجيح مذهب أهل السنة والجماعة على مذاهب أهل البدع في هذا الشأن وهذا مما يرجح موافقته لاعتقاد الشافعي الذي هو عقيدة أهل السنة والجماعة وإن كان يوجد من يتابع الأئمة الأربعة في فقههم ويخالفهم في عقيدتهم ولكن الأزهري ليس من هؤلاء لما اتضح لنا من منهجه وأقواله .

٥. أغلب مشايخه الذين تلقى عنهم وأكثر النقل من كتبهم هم من أهل السنة والجماعة كما تقدم في شيوخه وكذلك تلاميذه .

٦. ذمه لمن عرف عنه البدعة في الدين كقطرب والجاحظ ومن على شاكلتهم كما تقدم .

٧. تصريحه بعيب الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة وذكره لهم في مقام الذم فهو يقول عن الشيعة والرافضة [٢] ما يلي :

---

(١) انظر مقدمة الزاهر ص٣٤ .

(٢) الشيعة هم القائلون بأن الإمامة وراثية في أهل البيت ويقدمون علي بن أبي طاب على سائر الصحابة ومنهم الراافضة الذين يطعنون في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفرون أكثرهم=

والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويوالونهم[١]، وهذا القول ليس مدحا في الشيعة بل يدل على تعصبهم فهم يهوون هوى العترة فكلما هوت العترة هوى تابعوهم عليه وموقف المسلم الصحيح أنه لا يسلم بالعصمة لبشر إلا لرسل الله صلوات الله عليهم وأما ما عداهم فلا يتابعون على أهوائهم التي لا يدل عليه دليل ويقول عن الرافضة : [قال الليث : الرفض تركك الشيء تقول رفضني فرفضته قال : والروافض جنود تركوا قائدهم وانصرفوا فكل طائفة منهم رافضة والنسب إليهم رافضي ، وذكر عمر بن شبة عن الأصمعي أنه قال سموا رافضة لأنهم كانوا بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : ابرأ من الشيخين نقاتل معك ، فأبى وقال : كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما فرفضوه وأرفضوا عنه فسموا رافضة][٢].

[قال : ومن زعم أن قوله تعالى ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي يفعله الرافضة فقد أخطأ خطأ عظيما ـ ثم استطرد

= وهم فرق كثيرة ولهم اعتقادات فاسدة انظر عنهم مقالات الإسلاميين ٦٥/١ ، والملل والنحل ١٤٦/١ والفرق بين الفرق ص٢٩ وعقائد الثلاث والسبعين فرقة ٤٤٦/١ .

(١) تهذيب ٦١/٣ .

(٢) تهذيب ١٦/١٢ وذكر أبو محمد اليمني أنهم يموا رافضة لرفضهم لإمامة أبي بكر وعمر ، انظر ٤٤٦/١ من عقائد الثلاث والسبعين فرقة وذكر أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في العقيدة التي رواها أن الرافضة رفضوا الإسلام انظر شرح السنة للالكائي ١٧٨/١ .

[قال : ومن زعم أن قوله تعالى ﴿ **فما استمتعتم به منهن** ﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي يفعله الرافضة فقد أخطأ خطأ عظيما ـ ثم استطرد في إبطال أدلتهم في إباحة متعة النساء ثم قال : وإنما بينت هذا البيان لئلا يغر بعض الرافضة غرا من المسلمين فيحل له ما حرم ا لله جل وعز على لسان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم] [١] .

وهذه النقول المتقدمة عن الأزهري تبين موقفه من الشيعة ... وخصوصا من الرافضة ، وقوله : [لئلا يغر بعض الرافضة غرا من المسلمين] يوحي بخطورة انحرافات الرافضة على المسلمين وأما الخوارج [٢]، فإنه قال عنهم : [قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة] [٣] .

وقال : [وفي حديث النبي صلى ا لله عليه وسلم حين ذكر الخوارج فقال : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية "] [٤] .

ونقل قول أبي عبيد في وصف الخوارج بأنهم شقوا عصا المسلمين] [٥].

---

(١) تهذيب ٢٩٤/٢ .

(٢) الخوارج هم الذين خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه بعد التحكيم وأصول مذهبهم هي تكفير مرتكب الكبيرة وقتال الأئمة وهم فرق كثيرة ولهم اعتقادات فاسدة ، انظر عنهم الفرق بين الفرق ص٧٢ ، ومقالات الإسلاميين ١٦٧/١ ، والملل والنحل ١١٤/١ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة ١٨/١ .

(٣) تهذيب ٥٠/٧ .

(٤) تهذيب ١٤٤/٩ .

(٥) تهذيب ٧٧/٣ .

وقال عنهم بأنهم الذين يستعرضون الناس قتلا] [١] .

أما الصوفية [٢]، فإن الأزهري ذكر عن بعض فرقهم مـا ذكـره ثعلـب عـن ابن الأعرابي حيث قال : [والبلط المجان والمنحرفون من الصوفية] [٣] .

وذكر ما قاله الليث : [المغبرة قـوم يغـبرون يذكـرون الله بدعـاء وتضـرع كما قال قائلهم :

عبادك المغبرة   رُش علينا المغفرة

قلت : ـ القائل الأزهري ـ : وقد يسمى ما يقرأ بالتطريب مـن الشـعر في ذكر الله تعالى تغبيرا كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجـوا فسموا مغبرة بهذا المعنى وقد روي عـن الشـافعي أنـه قـال : أرى الزنادقـة وضعوا هذا التغبير ليصدوا الناس عن ذكر الله وقراءة القرآن] [٤] .

---

(١) تهذيب ١٣٤/٢ .

(٢) الصوفية فرقة قديمة تعود نشأتها إلى أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القـرن الثـالث وهـي فرقـة منحرفة عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه ، ظهرت بعض مقالاتهم على السـنة عبدك الصوفي ت٢١٠ وجابر بن حيان ـ صاحب الكيمياء ت٢٠٨ وغيرهم وذكـر لهـم الـرازي سـت فرق وذكر لهم عقائد شنيعة وبعض النـاس ينخـدع ببعـض مقـالاتهم فيظـن أنـه منهـم وليـس كذلـك وبعض الناس منهم ولكنه يستتر بالعلم والفقه أو التشيع ومحبة آل البيت ودخل من الزنادقة فيهم كثـير ، انظر كتاب التصوف الإسلامي ومدارسه ص٧٨ وما بعدهـا ، وكتـاب اعتقـادات فـرق المسلمين والمشركين ض١١٥ ، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٦٠ .

(٣) تهذيب ٣٥٣/١٣ .

(٤) تهذيب ١٢٢/٨.

ولا شك أن الأزهري متابع لإمامه الشافعي الذي حذر من الصوفية وانتقدهم انتقاداً شديداً فقال: [لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق] وقال : ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما فعاد عقله إليه أبدا وأنشد :

ودعو الذين إذا أتوك تنسكوا

وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف [١]

وأما المرجئية [٢] فإن الأزهري أشار إلى مذهبهم في مقام الذم فذكر قول من قال : [إنما قيل لهذه العصابة مرجئية لأنهم قدموا القول وأرجأوا العمل أي أخروه] [٣] .

وقد سبق في بيان عقيدته أنه يخالف المرجئية فيما ذهبوا إليه .

وأما المعتزلة [٤]، فإن الأزهري يذكر سبب تسميتهم فينقل عن ابن شميل قال : مر قتادة بعمرو بن عبيد فقال : ما هذه المعتزلة فسموا المعتزلة ، وهو عمرو بن عبيد بن باب وفيه يقول القائل :

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٧٠ .

(٢)المرجئية هم الذين يخرجون العمل من مسمى الإيمان وهم أصناف ، فمنهم من يزعم أن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط ومنهم من يزعم أنه قول باللسان فقط ومنهم من يقول هو تصديق القلب وقول اللسان فقط ومنهم من يقول إيماني كإيمان جبريل ، انظر عنهم مقالات الإسلاميين ٢١٢/١ والتنبيه والرد ص١٤٦ ، والملل للشهرستاني ١٣٩/١ .

(٣)تهذيب ١٨٣/١١ .

برئت من الخوارج لست منهم

من الغزال منهم وابن باب [(١)]

وذكر سببا آخر لتسميتهم بالمعتزلة واعتبرهم من القدرية فقال : [وقوم يلقبون بالمعتزلة زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم يعنون أهل السنة والجماعة والخوارج الذي يستعرضون الناس قتلا] [(٢)] .

وأما القدرية [(٣)]، فإن الأزهري قال عنهم : [والقدرية قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء وقال بعض متكلميهم لا يلزمنا هذا النبز

---

(٤)المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد وهم أصحاب الأصول الخمسة التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم يشاركون القدرية في جعلهم العبد يخلق أفعاله ويشاركون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار وينكرون صفات الله تعالى انظر عنهم مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١ ، والملل والنحل ٤٣/١ ، والفرق بين الفرق ص١١٤ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة ٣٤٥/١ .

(١) تهذيب اللغة ١٣٦/٢ .

(٢) تهذيب ١٣٤/٢ وفي سبب تسميتهم بالمعتزلة وجه آخر لم يذكره وهو اعتزالهم لمجلس الحسن انظر المراجع السابقة التي تكلمت عن فرقة المعتزلة .

(٣) القدرية هم الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعاله ويقولون لا قدر والأمر أنف وهم أتباع معبد الجهني وغيلان الثقفي الدمشقي وهم بعكس الجبرية الذين يقولون العبد كالريشة في الهواء انظر عنهم الفرق بين الفرق ص١٨ ، والتنبيه والرد للملطي ص١٦٥ وتاريخ المذاهب لأبي زهرة ١٣٠/١ .

لأنا ننفي القدر عن الله ومن أثبته فهو أولى به . وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القدر لأنفسهم [1]، ولذلك سموا قدرية] [2] .

وقد سبق بيان عقيدة الإزهري في القضاء والقدر وأنه مخالف لهذه الفرقة الضالة .

وأما الجبرية [3] فإن الأزهري نعى عليهم مسلكهم حيث نقل قول أبي الهيثم في ذمهم عندما قال : والجبرية الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أي أكرههم ومعاذ الله أن يكرههم على معصية ولكنه قد علم ما العباد عاملون وما هم إليه صائرون ثم عقب الأزهري على قول أبي الهيثم هذا بقوله : قلت : وهذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر إنما هو علم الله السابق في خلقه وقد كتبه عليهم فهم صائرون إلى ما علمه وكل ميسر لما خلق له] [4].

---

(١) لأنهم يقولون العبد يخلق فعله والله لا يقدر عليه شيء فهم جعلوا أنفسهم مستقلة بالفعل فهذا معنى قول الأزهري يثبتونه لأنفسهم .

(٢) تهذيب اللغة ١٨/٩ .

(٣) الجبرية هم الذين يسلبون العبد اختياره وقدرته ويجعلونه مجبورا على حركاته وأنها من جنس حركات الجمادات ويجعلون أفعاله الاختيارية والاضطراية من نمط واحد انظر عنهم مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٤٤/٨ .

(٤) تهذيب ٥٩/١١ .

وأما القرامطة [١] الذين أسروا الأزهري فإنه قد اكتوى بنارهم وعرفهم عن قرب فهو لا يذكرهم إلا صب عليهم اللعنات ودعا عليهم يقول [.... وابن بوركان واليا بالبحرين قبل استلاء القرامطة ـ أبادهم الله عليها] [٢].

وقال عن أرض الدو وقد قطعت الدو مع القرامطة أبادهم الله][٣].

وقال عن الباطنية التي ترجع إليها القرامطة : [وملحدوا زماننا هذا هؤلاء الذين تلقبوا بالباطنية وادعوا أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن علم الباطن فيه معهم فأحالوا شرائع الإسلام بما تأولوا فيها من الباطن الذي يخالف ظاهر العربية التي بها نزل القرآن وكل باطن يدعيه مدع في كتاب الله عز وجل يخالف ظاهر كلام العرب الذين خوطبوا به فهو باطل لأنه إذا جاز لهم أن يدعوا فيه باطنا خلاف الظاهر جاز لغيرهم ذلك ، وإبطال للأصل ، وإنما زاغوا عن إنكار القرآن ولاذوا بالباطن الذي تأولوه ليغروا به الغر الجاهل ولئلا ينسبوا إلى التعطيل والزندقة [٤].

---

(١) القرامطة فرقة من الباطنية وهم أصحاب أبي سعيد بن بهرام الجنابي وحمدان قرمط وهم ملاحدة زنادقة استحلوا الحرم وقلعوا الحجر الأسود وكان لهم دولة بالبحرين والإحساء انظر عنهم البرهان في معرفة عقائد الأديان للسكسكي ص٤٦ ، وكتاب ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة لليافعي ص٩٢ والبداية والنهاية لابن كثير ١١/١٦٠ .

(٢) تهذيب ٢/٢١٩ .

(٣) تهذيب ١٤/٢٢٤ .

(٤) الزاهر ص٣٧٨ .

وأما الشعوبية [١] : فإنه نقل تعريفهم عن الليث فقال : والشعوبي الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم] [٢].

ورغم أن الأزهري أصله من العجم إلا أن دينه وسلامة عقيدته تحجزه عن عقيدة الشعوبية فهو يحب العرب الذين جاء هذا الدين بلسانهم ويذكر فضلهم ويذكر فضل لغتهم ويذكر أن إسماعيل عليه السلام تعلم اللغة العربية ويذكر أن خمسة أنبياء كانوا من العرب وهم إسماعيل ومحمد وشعيب وصالح وهود ، وذكر ما روي عن قتادة أن قريش كانت تختار أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغة لها فنزل القرآن بها] [٣] .

ويرد الأزهري على الذين يتحاملون على العرب لأن ا لله ذم الأعراب في القرآن في قوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾[٤] فيقول [والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي والأعرابي ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية وهو لا يميز بين

---

(١) الشعوبية هم مجموعة من أبناء الأعاجم لم يتشربوا بالإسلام الصحيح فكانوا يكرهون جنس العرب ويؤلفون في مثالبهم ودخل فيهم زنادقة أرادوا تنفير الناس من الإسلام فبدأوا بتنفيرهم من العرب لأن أغلب الصحابة الذين هم سند الشريعة من العرب انظر كتاب الزندقة والشعوبية لسميرة مختار الليثي .

(٢) تهذيب ٤٤٢/١ .

(٣) تهذيب ٣٦٥/٢ .

(٤) الحجرات ١٤ .

العرب والأعراب ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب إنما هم عرب لأنهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء منهم الناشيء بالبدو ثم استوطن القرى والناشيء بها بمكة ثم هاجروا إلى المدينة ... وجعل الله جل وعز القرآن المنزل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم عربيا لأنه نسبه إلى العرب الذين أنزله بلسانهم وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب في باديتها وقراها العربية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم عربيا لأنه من صريح العرب](١).

وقد خدم الأزهري اللغة العربية خدمة جليلة بتأليفه في توضيح معانيها وإعراب عن حبه لها لما شرفها الله به من نزول القرآن بها ولكون الأحاديث النبوية جاءت بها فالحمد لله الذي هداة للسنة ومنعه من البدعة.

يقول الإمام أحمد بن حنبل : [ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة] (٢).

---

(١) تهذيب اللغة ٢/٣٦١ .

(٢) حادي الأرواح ص٢٩٨ .

الفصل الثامن
الرد على
الطاعنين في عقيدته

الفصل الثامن

الرد على الطاعنين في عقيدته

تقدم توثيق العلماء للأزهري في دينه وعلمه وورعه وصدقه وشهدوا له بالإمامة إلا أن بعض الباحثين المعاصرين أثار حول الأزهري تهمة التشيع بناء على كلمة وجدت في كتابه تهذيب اللغة فقد جاء في كتاب المعاجم العربية التي طبعت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٦ [(١)]ما يلي :

" وكان يميل إلى المذهب الشيعي الذي لم يكن يستطيع أن يتخلص منه حتى في مؤلفاته اللغوية " [(٢)].

وجاء في موضع آخر من الكتاب : " وأما عقيدته الشيعية ومناصرته لأهل البيت فقد سجلها في التهذيب في أكثر من موضع فمثلا في المادة " جعجع " تحت المجموعة ع.ج نجد أنه في شرحه لهذه الكلمة قد حمل على منافس العلويين في عبارته إذ قال : " كتب [(٣)] عبيد الله بن زياد اللعين إلى عمرو بن سعد أن جعجع بالحسين] [(٤)] .

---

(١) انظر مقدمة الطبعة الأولى ص١٤ من طبعة الفيصلية عام ١٤٠٦ هـ .

(٢) المعاجم العربية طبعت المكتبة الفيصلية ص٢٨ .

(٣) في الكتاب عبد الله بن زياد وعمرو بن سعيد والصواب ما أثبت .

(٤) المصدر السابق ص٢٩ .

وفي نفس هذا العام ١٩٥٦ طبعت دراسة عن مقدمة تهذيب اللغة وطبعت في دار مصر للطباعة وردد كاتبها نفس التهمة واعتمد على نفس الكلمة " جعجع " [١]، إلا أنه لم يذكر مرجعه الذي استقى منه هذه التهمة مع أنه قد اطلع على كتاب المعاجم العربية الذي كان قد سبق بالاتهام كما أخبر بذلك في ثنايا دراسته [٢] .

ويغلب على ظني أن صاحب الدراسة التي كتبت عن مقدمة تهذيب اللغة هو صاحب كتاب المعاجم العربية د. عبد الله درويش وليس أحمد عبد الغفور عطار وذلك لأن العطار اتفق مع مجموعة من المهتمين بالمعاجم العربية على نشر كتاب التهذيب بكامله على نفقة الشربتلي فأعدوا المقدمة ونشروها ثم تعثر المشروع بكامله حتى قامت به جهة أخرى وكلام العطار في المقدمة يوحي بهذا فهو يقول : [ونحن إذ ننشر المقدمة وحدها دون التهذيب فإننا أردنا أن يقف القارىء العربي عليها ويطلع على آراء الإمام الأزهري مبسوطة فيما قدم لكتابه حتى إذا انتهينا من تحقيق التهذيب كله قدمناه فهو الآن بين يدي نفر من العلماء يحقق نصوصه ويراجع أصوله تحت إشرافي وبالاشتراك معي وعندما ننتهي من تحقيقه ثم إنجاز ما بقي من طبع أجزاء صحاح الجوهري سنقدم أصول التهذيب للطبع .... وقد أفضل المحسن الإسلامي الكبير السيد حسن الشربتلي من أبناء مكة المكرمة فأعد

---

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة للعطار ص٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ص١١٦ .

العدة لنشر تهذيب اللغة وطبعه على نفقته الخاصة ووضع تحت يدي نفقات الطبع منذ عام [١]، ويغلب على ظني أن د. عبد الله درويش من ضمن المحققين الذين اعتمد عليهم العطار في الدراسة ولا يمكن تجاهله لسابق خبرته ولأنه صديق حميم للعطار [٢] ولجهوده في جمع نسخ التهذيب يقول العطار في الكلام على نسخ التهذيب : [ومنها نسخة تهذيب اللغة للأزهري بالمتحف البريطاني بلندن وهي تحت رقم ٤١٩٢ وكان اعتمادنا إياها موقوفا على النصوص التي نقلها منها صديقنا الدكتور عبد الله درويش في كتابه المعاجم العربية الذي نشره السيد الشربتلي على نفقته][٣]. وبهذا يظهر أن التهمة رددها شخص واحد في موضعين أو تلقفها العطار من د. عبد الله درويش و لم ينسبها له ، وعلى كلا الاحتمالين فإن التهمة نابعة من د. عبد الله درويش وليس العطار إلا مقلدا إن كان هو الذي كتب مقدمة تهذيب اللغة ومما تجدر الإشارة إليه أن التشيع يختلف في عرف المتقدمين عنه في عرف المتأخرين يقول ابن حجر : [فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان وأن عليا كان مصيبا في حروبه وأن مخالفه مخطيء مع تقديم الشيخين وتفضيلهما وربما اعتقد

---

(١) المصدر السابق ص٢٧ .

(٢) حاولت أن أستطلع الأمر من قبل الباحثين فتبين أن العطار قد توفي قبل سنوات وكذلك د. عبد الله درويش توفي قبل سنوات فرحم الله أموات المسلمين .

(٣)مقدمة العطار ص١١٦ .

بعضهم أن عليا أفضل الخلق بعد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وإذا كان معتقد ذلك ورعا دينا صادقا مجتهد فلا ترد روايته بهذا لا سيما إن كان غير داعية ، وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض فلا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة] (١) .

و لم يبين د. عبد ا لله درويش ما نوع التشيع الذي لاحظه على الأزهري وعلى كل حال فالتهمة في نظري باطله لما يلي :

أولا : أن الدكتور عبد ا لله لم يذكر دليلا على اتهامه للأزهري بالتشيع إلا أنه وصف عبيد ا لله بن زياد ـ الذي أمر بقتل الحسين ـ باللعين ، وهذه صورة النص الذي استنبط منه الدكتور عبد ا لله ما استنبط :

قال الأزهري في مادة " جع " [أبو العباس عن ابن الأعرابي جع فلان فلانا إذا رماه بالجعو وهو الطين وكتب عبيد ا لله بن زياد اللعين إلى عمر بن سعد أن جعجع بالحسين بن علي رضي ا لله عنهما ، قال ابن الأعرابي : معناه ضيق عليه قال : والجعجع الموضع الضيق الخشن ، وقال أبو عبيد : قال الأصمعي : الجعجعة الحبس] .

قال : وإنما أراد بقوله جعجع بالحسين أي احبسه ومنه قول أوس ابن حجر:

إذا جعجعوا بين الإناخة والحبس (٢)

---

(١)تهذيب التهذيب ١/ ٩٤ .

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٦٨ .

وهذا النص اشترك في إيراده أبو العباس وابن الأعرابي وأبو عبيد والأصمعي والأزهري فأحد هؤلاء هو الذي أطلق كلمة اللعين على ابن زياد وقد رجعت إلى كلمة جعجع في غريب الحديث لأبي عبيد [١]، فأورد كلمة عبيد الله بن زياد السابقة وأورد تفسير الأصمعي فلم أجد أن أبا عبيد أو الأصمعي أطلقا عبارة اللعين على عبيد الله فبقي الاحتمال على أن أحد الثلاثة الباقين وهم أبو العباس وابن الأعرابي والأزهري هو الذي قال كلمة اللعن ، فأما أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ، فقال عنه الحافظ البغدادي بأنه إمام الكوفيين في اللغة والنحو وكان ثقة حجة دينا صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة [٢]، ومثل هذا القول قاله الأزهري [٣]، وابن كثير [٤]، وعلى هذا فهو ليس من الشيعة بل من أهل السنة ويدل على عظيم قدره عند أهل السنة قول إبراهيم الحربي : تكلم الناس في الاسم والمسمى وبلغني أن أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي قد كره الكلام في الاسم والمسمى ، وقد كرهت لكم ما كره أحمد بن يحيى ورضيت لكم ولنفسي ما رضي أحمد ابن يحيى [٥] .

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٤٨٤.

(٢) تاريخ بغداد ٥/٢٠٤.

(٣) تهذيب اللغة ١/٢٧ .

(٤) بداية ١/٩٨.

(٥) تاريخ بغداد ٥/٢٠٩.

وأما ابن الأعرابي فهو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي إمام اللغة وهو شيخ ثعلب المتقدم ذكره قال عنه الأزهري : صالحا ورعا زاهدا صدوقا [١]، وقال عنه الخطيب البغدادي : ثقة ، وروى بسنده إلى داود بن علي قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : ياأبا عبد الله ما معنى قول الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : هو على عرشه كما أخبر ، قال الرجل : ليس كذلك هو ياأبا عبد الله إنما معنى قوله استوى استولى ، فقال ابن الأعرابي : اسكت ما يدريك هذا العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل استولى عليه والله لا مضاد له ، وهو على عرشه كما أخبر والاستيلاء بعد المغالبة ، قال النابغة :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الأمد [٢]

وقال عنه الذهبي : وكان صاحب سنة واتباع [٣]، وعليه فليس ابن الأعرابي من التشيع في شيء ، وأما الأزهري فقد تقدمت ترجمته وثناء العلماء عليه وتقدمت تفاصيل عقيدته وكونه موافقا لأهل السنة والحديث في كل ما تقدم فهل يمكن أن نطعن في أحد من العلماء السابقين بأنه

---

(١) تهذيب ١/٢٠ .

(٢) تاريخ بغداد ٥/٢٨٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/٦٨٨ .

متشيع لأنه لعن ابن زياد ومن هو هذا الذي يعتبر لعنه دليلا على التشيع عند د. عبد الله ، يقول الذهبي عنه [وكان جميل الصورة قبيح السريرة .... روى السري بن يحيى عن الحسن قال : قدم علينا عبيد الله أمره معاوية غلاما سفيها سفك الدماء سفكا شديدا فدخل عليه عبد الله بن مغفل فقال : أنت عما أراك تصنع فإن شر الرعاء الحطمة ، قال : ما أنت وذاك إنما أنت من حثالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وهل كان فيهم حثالة ؟!! لا أم لك ، قال : فمرض ابن مغفل فجاءه الأمير عبيد الله عائدا فقال : أتعهد إلينا شيئا ؟ قال : لا تصلي علي ولا تقم على قبري ... وقيل الذي خاطبه هو عائذ بن عمرو والمزني كما في صحيح مسلم فلعلها واقعتان . وقد كانت مرجانة تقول لابنها عبيد الله : قتلت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترى الجنة أو نحو هذا ، وصح من حديث عمارة بن عمير قال : جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه فأتيناهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فإذا حية تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله فمكثت هنيهة ثم خرجت وغابت ثم قالوا : قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا [1]، قلت : ـ القائل الذهبي ـ الشيعي لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه ونحن نبغضهم في الله ونبرأ منهم ولا نلعنهم وأمرهم إلى الله] [2] .

---

(١) وصحح هذه القصة الألباني في صحيح الترمذي ٣/٢٢٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٥٤٥ وما بعدها .

ويقول ابن كثير : [وقد كانت في ابن زياد جرأة وإقدام ومبادرة إلى ما لا يجوز وما لا حاجة له به ...... ومن جراءته إقدامه على الأمر بإحضار الحسين إلى بين يديه وأن قتل دون ذلك وكان الواجب عليه أن يجيبه إلى سؤاله الذي سأله فيما طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور فلما أشار عليه شمر بن ذي الجوشن بأن الحزم أن يحضر عندك وأنت تسيره بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الخصال أو غيرها فوافق شمرا على ما أشار به من إحضاره بين يديه فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضي فيه بما يراه ابن مرجانه وقد تعس وخاب وخسر أي ابن زياد فليس لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر بين يدي ابن مرجانة الخبيث][1] .

ويقول ابن تيمية ـ في معرض رده على أكاذيب الرافضة على يزيد ـ [والذي ثبت في الصحيح أن الحسين لما قتل حمل رأسه إلى قدام عبيد الله بن زياد وأنه نكت بالقضيب على ثناياه وكان بالمجلس أنس بن مالك رضي الله عنه وأبو برزة الأسلمي ففي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل ينكث وقال في حسنه شيئا فقال أنس : كان أشبههم برسول اله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوبا بالوسمة ، وفيه

---

(١) البداية والنهاية ٨/٢٨٥ .

أيضا عن ابن أبي نعم قال : سمعت ابن عمر وسأله رجل عن المحرم يقتل الذباب فقال : ياأهل العراق تسألوني عن قتل الذباب وقد قتلتم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " هما ريحانتاي من الدنيا" وقد روي بإسناد مجهول أن هذا كان قدام يزيد وأن الرأس حمل إليه وأنه هو الذي نكت على ثناياه وهذا مع أنه لم يثبت ففي الحديث ما يدل على أنه كذب فإن الذين حضروا نكته بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام وإنما كانوا بالعراق والذي نقله غير واحد أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين ولا كان له غرض في ذلك بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما أمره بذلك معاوية رضي الله عنه ولكن كان يختار أن يمتنع من الولاية والخروج عليه فلما قدم الحسين وعلم أن أهل العراق يخذلونه ويسلمونه طلب أن يرجع إلى يزيد أو يرجع إلى وطنه أو يذهب إلى الثغر فمنعوه من ذلك حتى يستأسر فقاتلوه حتى قتلوه مظلوما شهيدا رضي الله عنه وأن خبر قتله لما بلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله وقال يزيد : لعن الله ابن مرجانه يعني عبيد الله بن زياد أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله ، وقال : قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين وأنه جهز أهله بأحسن الجهاز وأرسلهم إلى

المدينة لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ولا أمر بقتل قاتله ولا أخذ بثأره][1].

قلت : فرجل هذه حاله وقد نقلت أخباره عن علماء الإسلام الأثبات أهل الإنصاف في الجرح والتعديل وهم ابن تيمية والذهبي وابن كثير هل يكون لعنه دلالة على التشيع ! وقد نقل ابن تيمية لعنه عن يزيد أفيكون يزيد من الشيعة !! بل إن ابن تيمية المشهور برده على الرافضة ودحض مفترياتهم يقول : [والحسين رضي الله عنه ولعن قاتله قتل مظلوما شهيدا] [2] .

وقال ابن تيمية في مسألة لعن الفاسق المعين : [وقد تنازع الناس في لعنة الفاسق المعين فقيل إنه جائز كما قال ذلك طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الفرج ابن الجوزي وغيره وقيل إنه لا يجوز كما قال ذلك طائفة أخرى من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي بكر بن عبد العزيز وغيره ، والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين كالحجاج بن يوسف وأمثاله وأن يقول كما قال الله تعالى ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ .... ومن جوز من أهل السنة والجماعة لعنة الفاسف المعين فإنه يقول يجوز أن أصلي عليه وأن ألعنه فإنه مستحق للثواب مستحق للعقاب] [3] .

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤/٥٥٦ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٨/١٤١ .

(٣) منهاج السنة ٤/٥٦٩ .

فغاية ما فعله الأزهري أن ثبت عنه لعنة عبيد الله بن زياد الذي ينكت بالقضيب في فم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إنه وقع في مكروه للعنه شخصا معينا وهو موافق في الاجتهاد لطائفة من أهل السنة والجماعة يلعنون المعين الفاسق ولا تدل هذه الحالة على التشيع أبدا لا على تعريف المتقدمين له ولا على تعريف المتأخرين وإذا سقط استدلال د. عبد الله درويش بقيت دعواه بغير برهان وقد راجعت الكلمات التي شرحها في التهذيب وهي مظنة التشيع فلم أعثر على شيء واضح ، وعليه فإنني أجزم يقينا إن شاء الله ولا أزكي على الله أحدا بأن الأزهري رحمه الله ليس من أهل التشيع على عرف المتأخرين الذي ذكره ابن حجر كما تقدم وهو الرفض المحض وذلك لما يلي :

أ ـ انتقاده للرافضة كما تقدم بيانه بأنهم طلبوا من زيد بن علي أن يتبرأ من الشيخين وقول زيد لهم معاذ الله وزيرا جدي يقصد أنهما وزيران لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وانتقاده لهم في إباحة نكاح المتعة وخوفه من أن يغروا غرا من المسلمين مما يشعر بمفهوم المخالفة أنه ربما يكون عنده في إسلامهم نظر وقد قال بعض السلف بذلك كما رواه اللالكائي في عقيدة أبي زرعة وابن أبي حاتم [١]، وقال الأزهري : والكامليه من الروافض شر جيل [٢] .

---

(١) شرح السنة للالكائي ١/١٧٨ .

(٢) تهذيب ١٠/٢٦٧ .

ب ـ ثناؤه على أمهات المؤمنين وبالأخص عائشة حيث يقول في ترجيح قول للشافعي وافق فيه فقه عائشة [وقول الشافعي بحمد الله صحيح من جهة اللغة وجهة الكتاب والسنة ولو لم يكن فيه إلا ما قالت عائشة رضي الله عنها أتدرون ما الأقراء إنما هي الأطهار لكان في قولها كفاية لأن الأقراء من أمر النساء وكانت رضي الله عنها من العربية والفقه بحيث برزت على أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظا وعلما وبيانا وفهما أنار الله برهانها ولقاها رضوانه ومغفرته [1] .

وكثيرا ما يترضى عن عائشة في كتبه ويصفها بأنها أم المؤمنين [2] .

ويصف بقية نساء النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن أمهات المؤمنين ويقر بأن لهن على الطاعة أجرين [3]، كما قال سبحانه ﴿ **ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين** ﴾ [4] .

وسمى الأزهري ما تناقله المنافقون عن عائشة بأنه حديث الإفك وذكر الثناء على أم المؤمنين زينب بنت جحش إذ عصمها الله بدينها من الوقوع في عرض عائشة مع أنها هي التي كانت تساميها[5] .

---

(١) الزاهر ص٣٤٥ .

(٢) تهذيب ٥/٢٧٠ .

(٣) تهذيب ١/٤٨١ .

(٤) الأحزاب ٣١ .

(٥) تهذيب ١٣/١١٥ .

ورجح قراءة عائشة في قوله جل وعز ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ [(١)]، بالتشديد وضم الكاف ، وذكر قولها استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله .... وذكر الروايات التي رويت عن ابن عباس في الآية ثم قال : [قلت : وأصح الأقاويل ما روينا عن عائشة وبقراءتها قرأ أهل الحرمين وأهل البصرة وأهل الشام] [(٢)] .

ونقل قول عمار رضي الله عنه لما سمع رجلا يسب عائشة فقال له : بعدما لكزه لكزات أأنت تسب حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اقعد منبوحا مقبوحا مشقوحا] [(٣)] .

بل أثنى حتى على أختها أسماء ذات النطاقين فقال : [وعير رجل عبد الله ابن الزبير بأمه فقال : ياابن ذات النطاقين [(٤)] فتمثل بقول الهذلي :

"وتلك شكاة ظاهر عنك عارها "

أراد أن تعييره إياه بأن أمه كانت ذات النطاقين ليس بعار ومعنى قوله ظاهر عنك عارها أي ناب أراد أن هذا ليس بعار يتعير منه وينتفي لأنه منقبة لها

---

(١) يوسف ١١٠ .

(٢) تهذيب ١٠/١٦٩ .

(٣) تهذيب ٤/٢٢ .

(٤) الذي يبدو أن هذا المعير جاهل يسمع الناس يقولون عن ابن الزبير أنه ابن ذات النطاقين وهو لا يعلم سبب التسمية فظن أنه سب لأمه .

أنها إنما سميت ذات النطاقين لأنه كان لها نطاقان تحمل في أحدهما الزاد إلى أبيها وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وكانت تنطلق بالنطاق الآخر وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه] [١] .

وكما أثنى الأزهري على أمهات المؤمنين وخصوصاً عائشة بنت أبي بكر الصديق التي يبغضها الروافض أثنى على الخلفاء الراشدين وذكر شيئا من مناقبهم في ثنايا كتبه فقد ذكر ما وجده عبد الله بن عمرو بن العاص من ذكر الخلفاء الراشدين ومن يأتي بعدهم من الملوك في كتب أهل الكتاب التي غنمها يوم اليرموك فقال الأزهري : حدثنا محمد بن إسحاق عن الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : وجدت في بعض الكتب يوم اليرموك أبو بكر الصديق أصبتم اسمه . عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه . عثمان بن عفان كفلين من الرحمة لأنه يقتل مظلوما أصبتم اسمه . قال : ثم ملك الأرض المقدسة وابنه عقبة قلت لعبد الله : سمهما ؟ قال : معاوية وابنه ... الحديث .

قلت : ـ القائل هو الأزهري ـ وهذا حديث عجيب وإسناده صحيح][٢] .

وقد أثنى على الخلفاء الراشدين كل واحد على حدة فذكر موقف أبي بكر

---

(١) تهذيب ٢٩٨/١٠ .

(٢) تهذيب ٤٧/٢ .

العظيم أيام حروب الردة [(١)] وذكر ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي بكر حيث قال : " ما دعوت أحدا إلا وكان له كبوة إلا أبا بكر لم يتلعثم " [(٢)] .

وذكر فضله عندما أمر بجمع القرآن [(٣)]، وذكر ثناء عمر على أبي بكر [(٤)]، وذكر شدة ورع أبي بكر عندما تقيأ الطعام الذي فيه شبهة [(٥)]، وذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن أهل الجنة ليتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما"] [(٦)] .

وذكر لعمر فضائل عظيمة غير ما تقدم منها ثناء علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر [(٧)]، .

ومنها قصص في شدة ورع عمر [(٨)] .

ومنها ثناء الناس على عمر [(٩)]، نقل عن أبي إسحاق أن الله سمى عمر

---

(١) تهذيب ١/٢٣٩ .

(٢) تهذيب ٣/٣٦١ .

(٣) تهذيب ٢/٢٨٥ .

(٤) تهذيب ١/١٩٣ .

(٥) تهذيب ٤/٢٨٣ .

(٦) تهذيب ٣/١١ .

(٧) تهذيب ١٥/٦٢ .

(٨) المستدرك على التهذيب ١٤٨ ، وتهذيب ١٥/١٢٠ .

(٩) تهذيب ١٥/ ١٢٤ و ١٢٩ و ٣/٣٧٣ و ١٤/٣٨٧ .

الفاروق لأنه ضرب بالحق على لسانه] [١] .

وذكر الأزهري أن تاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجـرة وكتـب في خلافـة عمر فصار تاريخا إلى هذا اليوم [٢].

وأثنى على عثمان بن عفان حيث ذكر ما يتصف به من حسن الأخلاق [٣] وذكر خبر الرسول صلى الله عليه وسلم له بأنه سوف يتولى الخلافة ونهـاه عن خلعها لأجل مطالبة أهل الفتنة بذلك قـال ابـن الأعرابـي : روي عـن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : " إن الله سيقمصك قميصـا وإنك لتلاص على خلعه فإياك وخلعه " قال : القميص الخلافة] [٤].

وذكر عظم مصيبة قتل عثمان [٥] .

وذكر أن في قتل عثمان استحلال الفقر الثلاث والفقر هـي الأمـور العظـام فذكرحرمة الشهر وحرمة البلد ، وهو المدينة ـ وحرمة الخليفة [٦] .

وأما علي رضي الله عنه فقد أثنى عليه وذكر أنه مـا كـان يرغـب في قتـل طلحة بن عبيد الله بل توجع غاية التوجع وبكى لما رآه صريعا وقـال : عـز علي أبا محمـد أن أراك معفـراً تحـت نجـوم السـماء إلى الله أشـكو عجـري

---

(١) ٩/١٠٦ .

(٢) ١٠/٥٤٥ .

(٣)تهذيب ١٢/٣٩٧ .

(٤) تهذيب ١٢/٣٨٧ .

(٥) ٨/٢٥٤ .

(٦) تهذيب ٩/١١٧ .

وبجري ، قال أبو العباس محمد بن يزيد : معناه إلى ا لله أشكو همومي وأحزاني التي أسرها] [١] .

وذكر أبياتا شعرية تصف شجاعة علي بن أبي طالب ارتجز بها يوم بارز مرحب اليهودي [٢] .

وذكر عن ابن الأعرابي في قول الرسول صلى ا لله عليه وسلم : " من كنت مولاه فعلي مولاه " أي من أحبني وتولاني فليتوله [٣] .

و لم يقتصر الأزهري على ذكر فضائل الخلفاء وأمهات المؤمنين بل ذكر جملة من فضائل بقية الصحابة وذكر عقيدته في الصحابة كما سبق أن بينته في فصل عقيدته في الإمامة والصحابة من وجوب الاستغفار لهم والترحم عليهم وعدم ذكر أحد منهم بما فيه منقصة له [٤]، فأين هذا القول من عقيدة الرافضة الذين يكفرونهم ويلعنونهم صباح مساء أو عقيدة الخوارج الذين يكفرون جملة منهم أو عقيدة المعتزلة الذين يفسقونهم ويرونهم قد سقطت عدالتهم .

ثانيا : لم يتهم الأزهري أحد بالتشيع من جميع العلماء السابقين في حدود علمي مع كثرة استفادتهم من كتبه وخاصة كتاب تهذيب اللغة الذي هو بحق من أعظم المراجع في اللغة بل ذكروا علمه وفضله وإمامته .

---

(١) تهذيب ٣٥٧/١ .

(٢) تهذيب ٤١٠/٤ .

(٣) تهذيب ٤٤٨/١٥ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ٦/٥ .

ثالثا : لم يكن من شيوخ الأزهري أو تلاميذه أحد عرف عنه التشيع في حدود علمي وشيوخ الرجل وتلاميذه دليل عليه .

رابعا : أن الأزهري كان من أعظم ما يثني به على العلماء الين سبقوه أو عاصروه أتباعهم للسنة وابتعادهم عن البدعة ولا شك أن هذا لا يتفق مع اتهامه بالتشيع .

خامسا : أن عقيدته عقيدة أثرية سلفية في شتى أبواب العقيدة كما سبق أن ذكرت مقارنات بين قوله في الاعتقاد وأقوال مشاهير علماء السلف فمن غير المعقول أن يوافقهم في جميع أبواب العقيدة ويشذ في مسألة واحدة هي فيما يتعلق بأهل البيت .

ومما تقدم يتضح لنا أن الأزهري ليس من أهل التشيع على مفهوم المتأخرين الذي مضمونه الرفض المحض ، كما سبق أن أوضحه ابن حجر ، وأما على مفهوم المتقدمين وهو تقديم علي بن أبي طالب على سائر الصحابة بما فيهم الخلفاء أو تقديمه على عثمان فإنني لم أجد له كلاما يدل على شيء من هذا والأصل براءته منه بل نقل عن علي بن أبي طالب أنه هو يقدم الشيخين حيث ذكر قوله : [سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثنى أبو بكر وثلث عمر وخبطتنا فتنة مما شاء الله] [١] .

---

(١) تهذيب ٦٢/١٥ .

ونقل هذا القول بلفظ آخر حيث قال : [وفي حديث علي أنه سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر وثلث عمر وخبطتنا فتنة مما شاء الله .

قال أبو عبيد : وأصل هذا في الخيل فالسابق الأول والمصلي الثاني قيل له مصل لأنه يكون عند صلا الأول وصلاة جانبا ذنبه عن يمينه وشماله ثم يتلوه الثالث] [1] .

فمن غير المعقول أنه يرى تقديم علي بن أبي طالب للشيخين ويخالفه لا سيما وقد سبق أن نقلنا عنه نقولا عظيمة تدل على فضلهما ، وأما تقديم علي على عثمان فإنني أيضا استبعده لعدم وجود ما يدل عليه في كلام الرجل ولأن منهجه هو منهج أهل السنة والجماعة بما فيهم أمامه في الفقه الشافعي الذي تفقه على كتبه وبما فيهم أبو عبيد السلفي المشهور الذي أكثر النقل عنه في كتبه ، يقول ابن تيمية : [أما تفضيل أبي بكر ثم عمر على عثمان وعلي فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو مذهب مالك وأهل المدينة والليث بن سعد وأهل مصر والأوزاعي وأهل الشام وسفيان الثوري وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أهل العراق وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وغير هؤلاء من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك

---

(١) تهذيب ٢٣٨/١٢ .

فقال : ما أدركت أحدا ممن أقتدى به يشك في تقديم أبي بكر وعمر ...
وأما عثمان وعلي فهذه دون تلك فإن هذه كان قد حصل فيها نزاع فإن
سفيان الثوري وطائفة من أهل الكوفة رجحوا عليا على عثمان ثم رجع
عن ذلك سفيان وغيره وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي وهي
إحدى الروايتين عن مالك لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي
كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن
حنبل وأصحابه وغير هؤلاء من أئمة الإسلام .... قال أيوب وأحمد ابن
حنبل والدار قطني : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين
والأنصار فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما
جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن
نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم] [١] .

وعلى هذا فاتهام الأزهري بالتشيع حتى على مفهوم المتقدمين يعوزه الدليل
ومنهجه يأباه والأصل براءته منه ولا نزكي على الله أحدا والله أعلم .

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٤٢١ - ٤٢٨ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات لقد تم هذا البحث المتواضع وتوصلت فيه إلى النتائج التالية :

١. إن علماء أهل السنة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين قد جاهدوا في ميادين مختلفة ومنها ميدان اللغة العربية ومن الأمثلة على هذا قول الأزهري في بعض الكلمات : [ولا آمن أن يكون مما ولده أهل البدع والأهواء وكأنه من كلام الجهمية][١].

٢. إن أهل البدع اجتهدوا كثيرا في التلاعب باللغة العربية ومعانيها لترويج باطلهم وخداع الأغرار عن طريق هذا المسلك .

٣. إن الاهتمام بمعرفة عقائد الناقلين للغة والمصنفين فيها طريق مأمون لمعرفة أهل السنة وقبول قولهم ، ومعرفة أهل البدعة والحذر من دسهم .

٤. مكانة التفقه في اللغة العربية ومعانيها مكانة عظيمة لأن اللغة العربية نزل بها القرآن وجاءت بها السنة وأقوال السلف الصالح .

٥. أن أبا منصور الأزهري من علماء اللغة الأفذاذ أصحاب العقيدة السلفية الصافية .

٦. أن الاتهامات التي لا تسندها أدلة صحيحة لا تغطي شمس الحقيقة الساطعة .

---

(١) تهذيب ١/١٢٣ .

الفهارس

١. فهرس الأعلام المترجم لهم .
٢. فهرس الآيات .
٣. فهرس الفرق .
٤. فهرس المصادر .
٥. فهرس الموضوعات

١. فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	الصفحة
١) أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه	٣٠
٢) أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي	٦٩
٣) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي	٨٩
٤) أحمد بن محمد المعافري الأندلسي	١٠٥
٥) أحمد بن يحيى المعروف بثعلب	٥٢
٦) حمد بن محمد الخطابي	٩١
٧) ربيعة بن أبي عبد الرحمن	٧٦
٨) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن الحكم	٣٠
٩) الليث بن المظفر	٥٥
١٠) محمد بن أبي جعفر أبو الفضل المنذري	٣٠
١١) محمد بن السري المعروف بابن السراج	٣٠
١٢) محمد بن الحسين بن دريد	٥٥
١٣) نعيم بن حماد	٨٧
١٤) يوسف بن عبد الله بن عبد البر	٩٢

٢. فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ الله يستهزيء بهم ﴾	١٥	١٢٤
﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾	١٩	٦٤
﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ﴾	٧٤	١٣٦
﴿ وإلهكم إله واحد ﴾	١٦٣	١٢١
﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾	١٩٤	١٢٤
﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾	٢١٠	٩١
﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾	٢١٦	٩٦
﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾	٢٥٥	١٧٨
﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ﴾	٢٥٩	١٤٨
﴿ كالذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾	٢٧٥	١٧٠

سورة آل عمران

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾	١٨	١٢١،١٢٨
﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا ﴾	٤٦	١٨٩
﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾	١٠٢	٣

سورة النساء

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾	١	٣
﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾	١٤٢	١٢٤
﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾	١٦٤	٩١

سورة المائدة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ومهيمنا عليه ﴾	٤٨	١١٧
﴿ علام الغيوب ﴾	١٠٩	٩٥

سورة الأنعام

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾	١	٧٥
﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾	٧٣	١١٣
﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾	١٠٣	١١٠
﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾	١٢٧	١٨٠
﴿ فمن يرد ا لله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾	١٤٥	١٣٣

سورة الأعراف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ من يضل ا لله فلا هادي له ﴾	١٨٦	١٣٢

سورة التوبة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فيسخرون منهم سخر ا لله منهم ﴾	٧٩	١١٩

سورة يونس

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إن ربكم ا لله الذي خلق السموات ﴾	٣	٧٨

سورة هود

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ألم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾	١	١٢٧

سورة يوسف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ اذكرني عند ربك ﴾	٤٢	١٢٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فيسقي ربه خمرا ﴾	٤١	١٢٥

سورة الرعد

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه ﴾	١١	١٦٨

سورة الحجر

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾	٩١	٧٥

سورة النحل

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾	١٧	١١٩
﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾	٣٦	١٣٥
﴿ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ﴾	٤٨	١٦٢
﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ﴾	٣٧	١٣٢
﴿ فلا تضربوا له الأمثال ﴾	٧٤	٨٧
﴿ ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾	٩٣	١٣٣

سورة الإسراء

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ألا تتخذوا من دوني وكيلا ﴾	٢	١٢٦
﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾	١٣	١٢٩
﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾	٤٤	١٣٥
﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾	٨٥	١٤٢

سورة الكهف

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾	٥٨	١٦٠
﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾	٧٩	١٣٤

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾	٨٢	١١٣
﴿ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾	٩٩	١٣٣

سورة مريم

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ هل تعلم له سميا﴾	٦٥	٨٧

سورة طه

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾	٥	١٤٧ ، ١٧٧
﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾	٧١	١١٢
﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾	١٢٤	١٧٥
﴿ ولا يحيطون به علما ﴾	١١٠	٨٩

سورة الأنبياء

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾	٨٧	١٩١
﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ﴾	١٠٥	١٨٦

سورة الحج

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ﴾	١٨	١٦٢

سورة المؤمنون

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾	٩١	١٣٧

سورة النور

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ الله نور السموات والأرض ﴾	٣٥	١١٣

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الفرقان		
﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾	١	١٦٩
سورة الشعراء		
﴿ فقولا إنا رسول رب العالمين ﴾	١٦	١٨٤
﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾	٨٠	١٣٥
سورة النمل		
﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ﴾	٥٠	١٢٤
﴿ إني وجدت امرأة تملكهم ﴾	٢٣	١٤٨
سورة القصص		
﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾	٧	٧٦
سورة العنكبوت		
﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ﴾	٤٨	١٨٨
﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء ﴾	٦٣	١٢٧
﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ﴾	٦٧	١٥٢
سورة الأحزاب		
﴿ ومن يقنت منكم لله ورسوله ﴾	٣١	٢٢٨
﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾	٧٠	٢

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾	٢	٩٦
﴿ ياجبال أوبي معه والطير ﴾	١٠	١٦٣
سورة يس		
﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾	٢٦	١٠٨
﴿ وهو الخلاق العليم ﴾	٨١	١١٣
سورة الصافات		
﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾	١٢	١١٨
سورة ص		
﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾	٥	١١٨
سورة الزمر		
﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ﴾	٢٩	١٣٩
﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ﴾	٣٨	١٤٢
سورة غافر		
﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾	٦٤	١٣٣
سورة فصلت		
﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾	١١	٨٠

الآية رقمها رقم الصفحة

سورة الشورى

﴿ ليس كمثله شيء ﴾	١١	٨٧
﴿ وجزاء سيئة سيئة ﴾	٤٠	١٢٤
﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ﴾	٥١	١٨٥

سورة الزخرف

﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾	١	٧٤
﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾	١٩	٧٥
﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾	٦١	١٨٩
﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾	٨٤	١٣٧

سورة الحجرات

﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾	١٤	١٤٩
﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا با لله ورسوله ﴾	١٥	١٤٨

سورة الذاريات

﴿ إن ا لله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾	٥٨	١٣١

سورة المجادلة

﴿ قد سمع ا لله قول التي تجادلك ﴾	١	١٢٢

سورة الحشر

﴿ المؤمن المهيمن ﴾	٢٣	٩٨

سورة الحاقة

﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم بومئذ ثمانية ﴾	١٧	١٧٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الجن		
﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾	٢٦	١٥٧
سورة المزمل		
﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾	٥	١٨٥
سورة المدثر		
﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾	٨	١٧٥
النازعات		
﴿ والأرض بعد ذلك دحاها﴾	٣٠	٨٠
سورة الإخلاص		
﴿ ولم يكن له كفؤا أحد ﴾	٤	٨٧

٣. فهرس الفرق

اسم الفرقة	الصفحة
الجبرية	٢١٢
الخوارج	٢٠٨
الشعوبية	٢١٤
الشيعة	٢٠٧
الصوفية	٢٠٩
القدرية	٢١١
القرامطة	٢١٣
المرجئة	٢١٠
المعتزلة	٢١١

٤. فهرس المصادر

١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ـ تحقيق الدكتور / عواد عبد الله المعتق ، طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عان ١٤٠٨هـ .

٢) أخبار الدول المنقطعة لجمال الدين أبي الحسن علي بن أبي منصور ظاهر بن الحسين الحلبي الأزدي تحقيق د. محمد بن مسفر بن حسين الزهراني توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة عام ١٤٠٨هـ .

٣) الاختلاف في اللفظ والرد على الجمالية لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ضمن كتاب عقائد السلف جمع النشار منشأة المعارف المصرية عام ١٩٧١م .

٤) أصول الدين ، تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الطبعة الثانية . دار الكتب العلمية . بيروت عام ١٤٠٨هـ .

٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لمحمد بن عمر الرازي ، تحقيق طه عبد الرؤوف ومصطفى الهواري . مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة عام ١٣٩٨هـ .

٦) الأعلام لخير الدين الزركلي . الطبعة الثالثة .

٧) الأنساب لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني تحقيق شرف الدين أحمد . الطبعة الأولى مطبعة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن عام ١٣٩٩هـ .

٨) ءدائع الفوائد لابن القيم دار الكتاب العربي ببيروت .

٩) البداية والنهاية لابن كثير الطبعة الثانية مكتبة المعارف ببيروت عام ١٩٧٧م .

١٠) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان اعباس بن منصور السكسكي تحقيق خليل أحمد إبراهيم الطبعة الأولى عام ١٤٠٠ نشر دار التراث العربي.

١١) بغية الوعاه في طبقات النحاه لعبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ مطبعة الحلبي وشركاه .

١٢) تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق د. عمر عبد السلام نشر دار الكتاب العربي ببيروت عام ١٤٠٩هـ الطبعة الأولى .

١٣) تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب دار الكتاب العربي بيروت .

١٤) تاريخ التراث العربي لفؤاد سوكين نقله إلى العربية د. عرفة مصطفى طبع جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

١٥) تاريخ القضاعي لمحمد بن سلامة بن جعفر القضاعي تحقيق د. جميل عبد الله المصري نشر جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٥هـ .

١٦) تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبي زهرة دار الفكر العربي .

١٧) تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة تصحيح محمد زهري النجار دار الجيل بلبنان ١٣٩٣هـ .

١٨) تأويل مشكل القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق أحمد صقر الطبعة الثانية عام ١٣٩٣هـ دار التراث بالقاهرة .

١٩) التصوف الإسلامي ومدارسه لمحمد جلال .

٢٠) تفسير الطبري لابن جرير الطبري دار الفكر بيروت عام ١٣٩٨هـ.

٢١) تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأمصاري القرطبي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأول عام ١٤٠٨هـ .

٢٢) التفسير القيم لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٣٩٨هـ توزيع دار الباز بمكة .

٢٣) تفسير المعوذتين لابن القيم ، الطبعة الخامسة نشر قصي محب الدين الخطيب عام ١٣٩٧هـ .

٢٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي نشر محمود مهدي استنابولي عام ١٣٩٦هـ .

٢٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر تحقيق عبد الله الصديق نشر وزارة الحج والأوقاف بالمغرب عام ١٣٩٩هـ .

٢٦) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي الشافعي نشر مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة المعارف ببيروت عام ١٣٨٨هـ .

٢٧) تهذيب التهذيب لأحمد بن حجر العسقلاني الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية بحيد آباد ١٣٢٥هـ تصوير دار صادر بيروت .

٢٨) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق عبد السلام هارون وآخرين المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة عام ١٣٨٤هـ .

٢٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا لابن رجب الحنبلي دار المعرفة بيروت .

٣٠) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ تصحيح محمود حسن ربيع مكتبة النهضة الحديثة.

٣١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ضمن كتاب عقائد السلف جمع علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي نشر منشأة المعارف بالإسكندرية عام ١٩٧١هـ .

٣٢) ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة لعبد الله اليافعي تحقيق د. موسى الدويش نشر دار البخاري بالمدينة الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ .

٣٣) رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ضمن كتاب عقائد السلف.

٣٤) الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل تصحيح إسماعيل الأنصاري نشر دار الإفتاء بالسعودية .

٣٥) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ضمن كتاب عقائد السلف .

٣٦) الرسالة لإمام الشافعي تحقيق أحمد شاكر طبعت عام ١٣٠٩هـ .

٣٧) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لأبي منصور الأزهري تحقيق د. محمد جبر الألفي الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ نشر وزارة الأوقاف بالكويت .

٣٨) الزندقة والشعوبية لسميره مختار الليثي نشر المكتبة الإنجلو المصرية عام ١٩٦٨م .

٣٩) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني من منشورات المكتب الإسلامي .

٤٠) سير أعلام النبلاء للذهبي الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة .

٤١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت .

٤٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة اله بن الحسن اللالكائي تحقيق د. أحمد سعد حمدان نشر دار طيبة بالرياض .

٤٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد ا لله بن محمد الغنيمان الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

٤٤) شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني نشر مكتبة الغزالي بدمشق.

٤٥) الصاحبي لابن فارس تحقيق أحمد صقر نشر عيسى الحلبي وشركاه عام ١٩٧٧م .

٤٦) صحيح البخاري المكتبة الإسلامية باستنبول عام ١٩٧٩م .

٤٧) صحيح سنن أبي داود لحمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج.

٤٨) صحيح سنن الترمذي لحمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٤٩) صحيح الجامع الصغير لمحمد بن ناصر الدين الألباني نشر المكتب الإسلامي ببيروت .

٥٠) صحيح مسلم مع شرح النووي الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت .

٥١) طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ دار الكتب العلمية ببيروت توزيع دار الباز بمكة .

٥٢) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

٥٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد توزيع مكتبة العلم بمكة المكرمة .

٥٤) طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكي تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناحي الطبعة الأولى عيسى الحلبي وشركاه .

٥٥) عبد الله بن المبارك الإمام القدوة لمحمد عثمان جمال نشر دار القلم بدمشق عام ١٣٩٩هـ الطبعة الثانية .

٥٦) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف الطبعة الثانية دار المعارف بمصر عام ١٩٧٥م .

٥٧) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني تحقيق د. محمد زربان الغامدي نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ .

٥٨) عقيدة الإمام ابن قتيبة لعلي بن نفيع العلياني مكتبة الصديق بالطائف الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ .

٥٩) عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي إسماعيل الصابوني تحقيق بدر البدر الدار السلفية بالكويت الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ .

٦٠) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى عام ١٣٩٨هـ نشر المكتب الإسلامي .

٦١) العلو للعلي الغفار للذهبي الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ نشر المكتبة السلفية .

٦٢) غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي تحقيق عبد الكريم الغرباوي نشر جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٢هـ .

٦٣) غريب الحديث لأبي عبيد الطبعة الأولى مطبعة دائرة المعارف االعثمانية بحيدر آباد الدكن عام ١٣٨٧هـ .

٦٤) الفائق في غريب الحديث لمحمود الزمخشري تحقيق علي البجاوي الطبعة الثالثة دار الفكر عام ١٣٩٩هـ .

٦٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني دار المعرفة للنشر ببيروت الطبعة الثانية .

٦٦) الفتوى الحمويه لابن تيمية نشرها حامد الفقي مع رسائل أخرى ضمن مجموعة نفائس الطبعة الثالثة عام ١٣٧٤هـ بمطبعة السنة المحمدية .

٦٧) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي تحقيق محمد عبد الحميد نشر مكتبة محمد علي صبيح .

٦٨) فوات الوفيات لمحمد شاكر الليثي تحقيق د. إحسان عباس د. صادر بيوت .

٦٩) القواعد المثلى في صفات ا لله وأسمائه الحسنى لمحمد الصالح العثيمين نشر المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة .

٧٠) القول السديد في مقاصد التوحيد لعبد الرحمن بن ناصر بن سعدي طبع على هامش كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة السادسة .

٧١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة مكتبة المثنى ببغداد .

٧٢) لسان الهرب لابن منظور دار صادر بيوت .

٧٣) مآخذ الأزهري اللغوية على كتاب العين لجمعان بن ناجي السلمي رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بمكة عام ١٤١٢هـ .

٧٤) متشابه القرآن لقاضي عبد الجبار بن أحمد تحقيق د. عدنان محمد زرزور طبع دار النصر بالقاهرة .

٧٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد الطبعة الأولى عام ١٣٩٨هـ .

٧٦) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم اختصره محمد بن الموصلي توزيع دار البحوث العلمية بالرياض .

٧٧) مختصر العلو للذهبي اختصره محمد ناصر الدين الألباني نشر المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ .

٧٨) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن البغدادي تحقيق محمد علي البجاوي الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ عيسى الحلبي وشركاه .

٧٩) المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل الطبعة الثانية . عيسى الحلبي وشركاه .

٨٠) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة جمع عبد الله بن سلمان الأحمدي دار طيبة بالرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ.

٨١) المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم وبذيله التلخيص للذهبي دار الفكر بيوت ١٣٩٨ هـ .

٨٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال نشر المكتب الإسلامي ودار صادر ببيروت .

٨٣) معاني القراءات لأبي منصور الأزهري تحقيق عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ مطابع دار المعارف بمصر .

٨٤) المعتزلة لزهدي الجار الله الطبعة الأولى . الأهلية للنشر والتوزيع ببيروت عام ١٩٧٤م .

٨٥) المعاجم العربية د. عبد الله درويش المكتبة الفيصلية بمكة عام ١٤٠٦هـ .

٨٦) المعجم العربي نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار الطبعة الرابعة عام ١٩٨٨م دار مصر للطباعة .

٨٧) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة مكتبة المثنى دار إحياء التراث العربي ببيروت .

٨٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي إعداد مجموعة من المستشرقين مطبعة بريل في لندن عام ١٩٥٥م .

٨٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر ببيوت .

٩٠) مغني اللبيب من كتب الأعريب لابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد نشر المكتبة الفيصلية بمكة .

٩١) مقالات الإسلاميين لعلي بن إسماعيل الأشعري تحقيق محمد محي الدسين عبد الحميد الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ مكتبة النهضة بمصر .

٩٢) مقدمة تهذيب اللغة لأحمد عبد الغفور عطار نشر عام ١٨٥٦م دار مصر للطباعة .

٩٣) الملل لمحمد عبد الكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني الطبعة الثانية عام ١٣٩٥هـ دار المعرفة للطباعة والنشر .

٩٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية الطبعة الأولى ١٣٢١هـ المطبعة الأميرية ببوق .

٩٥) منهاج السنة النبوية لابن تيمية طبع جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٦هـ تحقيق محمد رشاد سالم .

٩٦) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ مؤسسة الرسالة ببيروت .

٩٧) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات بن الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار النهضة مصر للطبع والنشر .

٩٨) هداية العارفين لمؤلفه إسماعيل ثابت باشا البغدادي مكتبة المثنى ببغداد .

٩٩) وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت.

١٠٠) الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي الطبعة الثانية عام ١٣٩٤هـ.

فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

المقدمة.......................................٣

الباب الأول : عصر وحياته.......................٨

الفصل الأول : عصره.............................٩

المبحث الأول : الجانب السياسي.................١٠

المبحث الثاني : الجانب العلمي..................٢١

الفصل الثاني : حياته............................٢٩

المبحث الأول : اسمه ومولده ونشأته ووفاته..........٢٥

المبحث الثاني : شيوخه وتلاميذه..................٣٠

١ . شيوخه ٣٥

٢ . تلاميذه...................................٤١

المبحث الثالث : علمه ومؤلفاته....................٤٤

١ . علمه.....................................٤٥

٢ . مؤلفاته...................................٥٠

الباب الثاني : عقيدته.............................٦٣

الفصل الأول : أهمية معرفة عقيدة الناقلين للغة والمصنفين فيها......٦٥

الفصل الثاني : منهجه في آيات وأحاديث الصفات...........٨١

الفصل الثالث : عقيدته في التوحيد والإيمان..........١٤٧

الفصل الرابع : عقيدته في بعض المسائل الغيبيات..........١٥٦

الفصل الخامس : عقيدته في النبوات........................١٨٢
الفصل السادس : عقيدته في الإمامة والصحابة ١٩٨
الفصل السابع : موقفه من الفرق المبتدعة ٢٠٤
الفصل الثامن : الرد على الطاعنين في عقيدته................٢١٦
الخاتمة..٢٣٧
الفهارس...٢٣٨

توزيـــع :
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
الرياض ١١٤٣١ ـ ص . ب : ١٤٠٥
☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦